الإنساني 51

الوصول إلى المصابين
مسألة حياة أو موت

أبناء الحروب
(ملف العدد)

تصدر كل ثلاثة شهور عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر

ICRC

غير مخصصة للبيع | العدد الواحد والخمسون | شتاء 2011

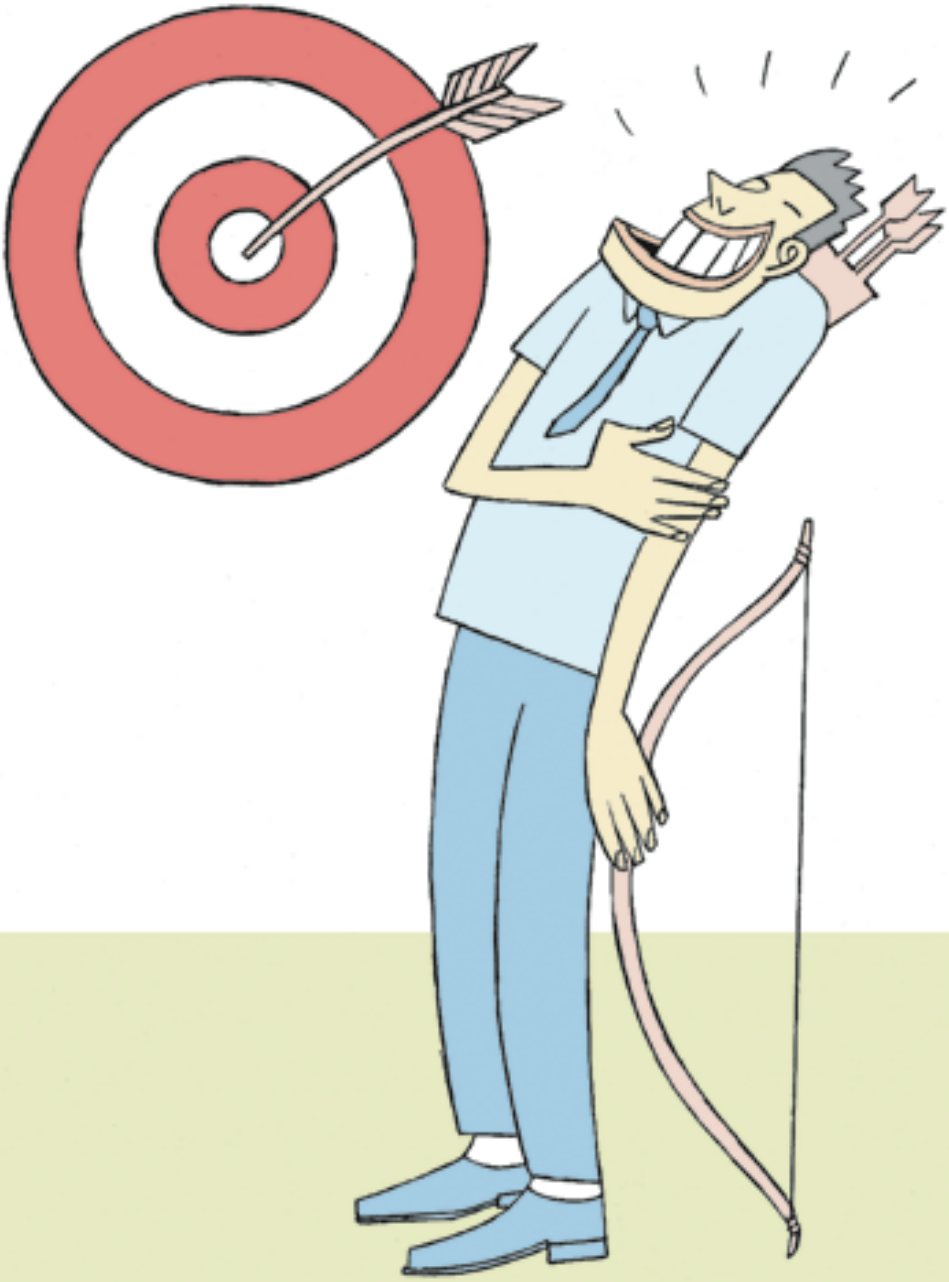

الرسم: **عمّار داود**، العراق، (1957–)

(....)

كل هذا العنف...

ماذا يعني أن تكون طفلًا يكبر في ظل العنف، طفلًا يحيل النزاع حياته المألوفة، في أحسن الأحوال، لمجرد ذكرى بعيدة قبل أن يصير يتيما؟. ماذا يعني أن تشتاق لدفء دارك وأجمل ألعابك وضجة شارعك المحببة حين تصبح نزيل إحدى الخيام في العراء؛ لتفقد عندها اسمك وتصبح إما لاجئًا أو نازحا أو رقمًا يدرج ضمن لوائح القتلى والمفقودين؟

يصدر هذا العدد من مجلة «الإنساني» بينما تستمر الاضطرابات المدنية والنزاعات وأعمال العنف في الانتشار في مختلف أنحاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. هذا العنف الذي أدى إلى سقوط المئات من القتلى وتسبب بأعداد كبيرة من الإصابات ودفع الآلاف لترك بيوتهم وكل ما ألفوه للبحث عن الأمان.

هذا العنف؛ وما يجلبه من أهوال؛ يعيشه يوميا الآلاف من الأطفال في مختلف أنحاء العالم؛ بالرغم من الحماية التي يمنحها القانون لهم؛ ليكونوا شهود عيان لا حول لهم على ما يتعرض له ذووهم وأفراد عائلاتهم من فظاعات. هذا العنف الذي يعرضهم هم أنفسهم للقتل والتشويه والسجن والفصل عن عائلاتهم، فإن هم نجوا بأنفسهم جهلوا ما سوف يكون عليه مستقبلهم ومستقبل أعزائهم؛ فهم مجبرون على الفرار ومتروكون لمواجهة مصيرهم في ظل معاناتهم جراحًا نفسية عميقة.

وها نحن في هذا العدد نقرأ شهادات ليست مؤلمة فحسب، ولكن فيها من الحياة والشجاعة مما يمتلك هؤلاء الأطفال فيتجاوزون به محنهم وفقدانهم أغلى ما يملكون لصنع حياة آمنة جديدة، في روحها الاشتياق الأبدي لما كان قبل أن يبدد العنف حياتهم وأحلامهم. فمن قسم الأطفال في مستشفى «مرويس» بقندهار، ومن بغداد العراق، إلى مدينة «أبو» في جمهورية أفريقيا الوسطى؛ ومن لبنان؛ ومن موقع الاغتراب، يقص هؤلاء الأطفال حكاياتهم حتى لا يبقى أطفال مثلهم من دون أب، كما يتمنى وقّاص الذي فقد والده في حادث تفجير في بغداد ولم يتجاوز عمره حينها الأعوام الخمسة.

نقرأ في هذا العدد أيضا عن التحديات التي تواجه العمل الإنساني وجهود حماية المدنيين؛ وبالتحديد عن الدروس المستفادة من أحداث ليبيا وساحل العاج انطلاقا من خبرة العمل الميداني للجنة الدولية في هاتين الدولتين، وهي دروس يمكن أن تشكل أساسا لتحسين أداء العمل الإنساني في مناطق أخرى من العالم تشهد ظروفا مماثلة. ولا ننسى الإشارة إلى ما تتعرض له الطواقم الطبية والصحية في مناطق العنف من مخاطر جمة أثناء قيامها بعملها لإنقاذ الأرواح، والتي ينبغي التأكيد دائما على احترامها وحمايتها لمساعدتها على أداء واجبها. وهي جميعها قضايا يعالجها هذا العدد من المجلة بالإضافة إلى قضايا إنسانية أخرى متنوعة.

«الإنساني»

الإنساني

تصدر كل ثلاثة شهور عن
اللجنة الدولية للصليب الأحمر

رئيس التحرير **إيمان المعنقر**
مديرا التحرير **زينب غصن**
ياسر الزيات
المستشار القانوني **د. عامر الزمالي**
مستشار التحرير **محمد بن أحمد**

المراسلات : 33 شارع 106 حدائق المعادي، القاهرة 11431، مصر
هاتف : 25281540/25281541 فاكس : 25281566
البريد الإلكتروني: cai_csc@icrc.org
الموقع الإلكتروني: www.icrc.org/ara

الآراء الواردة بهذه المطبوعة لا تعبر إلا عن وجهة نظر أصحابها

الإشراف الفني **أحمد اللباد**

ICRC

اللجنة الدولية للصليب الأحمر منظمة مستقلة محايدة، أنشئت عام 1863. مهمتها إنسانية بحتة، تتمثل في حماية أرواح ضحايا الحرب وكرامتهم وتقديم المساعدة لهم. تقوم اللجنة بتوجيه وتنسيق أنشطة الإغاثة التي تنفذها الحركة الدولية للصليب والهلال الأحمر. وتعمل على ترويج وتدعيم القانون والمبادئ الإنسانية العالمية.

AFP

أطفال مجندون يمسكون بأسلحتهم في معسكر لميليشيا هيما العرقية في مدينة بونيا في جمهورية الكونغو الديمقراطية. هناك أكثر من 300 ألف مجند حول العالم، وفقا لائتلاف "أوقفوا استغلال الأطفال المجندين"

51

شتاء 2011

REUTERS

التنبؤ بموجات تسونامي ممكن.. لكن شيئا لا يوقفها ..... إعداد: زينب غصن 05

حماية المدنيين: الدروس المستفادة من ليبيا وساحل العاج ..... إيف داكور 08

عالقان في السلوم ..... رشا محمود 10

الوصول إلى المصابين مسألة حياة أو موت (حوار) 12

رحلة الحاجة نعيمة من الوحدة إلى دفء العائلة ..... ربى عفاني وياسر الزيات 14

الملف: أبناء الحروب 15

كيف يُشفى الأطفال من صدمة الحرب وآثارها النفسية ..... سمر القاضي 16

3 صغار في الطريق إلى وطن بديل ..... ليال حورانية وفردوس العبادي 18

في بيتنا لصوص ملثمون 20

أطفال تحت القصف ..... جيسي شاهين 22

الحرب على البراءة ..... ليال حورانية 23

صور الحرب.. ودروسها ..... جهاد بزي 26

في أنني مطرود ولست لاجئًا ..... سامر أبو هوّاش 28

الكاميرا ترصد: أطفال الحرب.. والحرب بالأطفال ..... ياسر عبد العزيز 30

السودان: عودة الابنة المخطوفة إلى ذويها ..... كلير دول 35

مخيم شوشة: الحياة بين الانتظار والأمل ..... سمية بلطيفة 37

قندهار: يوم في حياة ممرض أطفال ..... كريستيان شوه 38

ميدان التحرير: قرص الشمس الذي أشعل الثورة ..... مكاوي سعيد 40

معوقات تواجه إبداع المرأة العربية ..... فاطمة قنديل 46

الحرب الروبوتية: المستقبل الآن ..... سيباستيان براك 48

العيش في المدن.. من الحلم إلى الكابوس ..... حبيب معلوف 50

بلا رتوش: خضراء ..... قصة: زكريا تامر 52

شعر: موزع الصحف ..... إميل كامير 54

أركان العالم 55

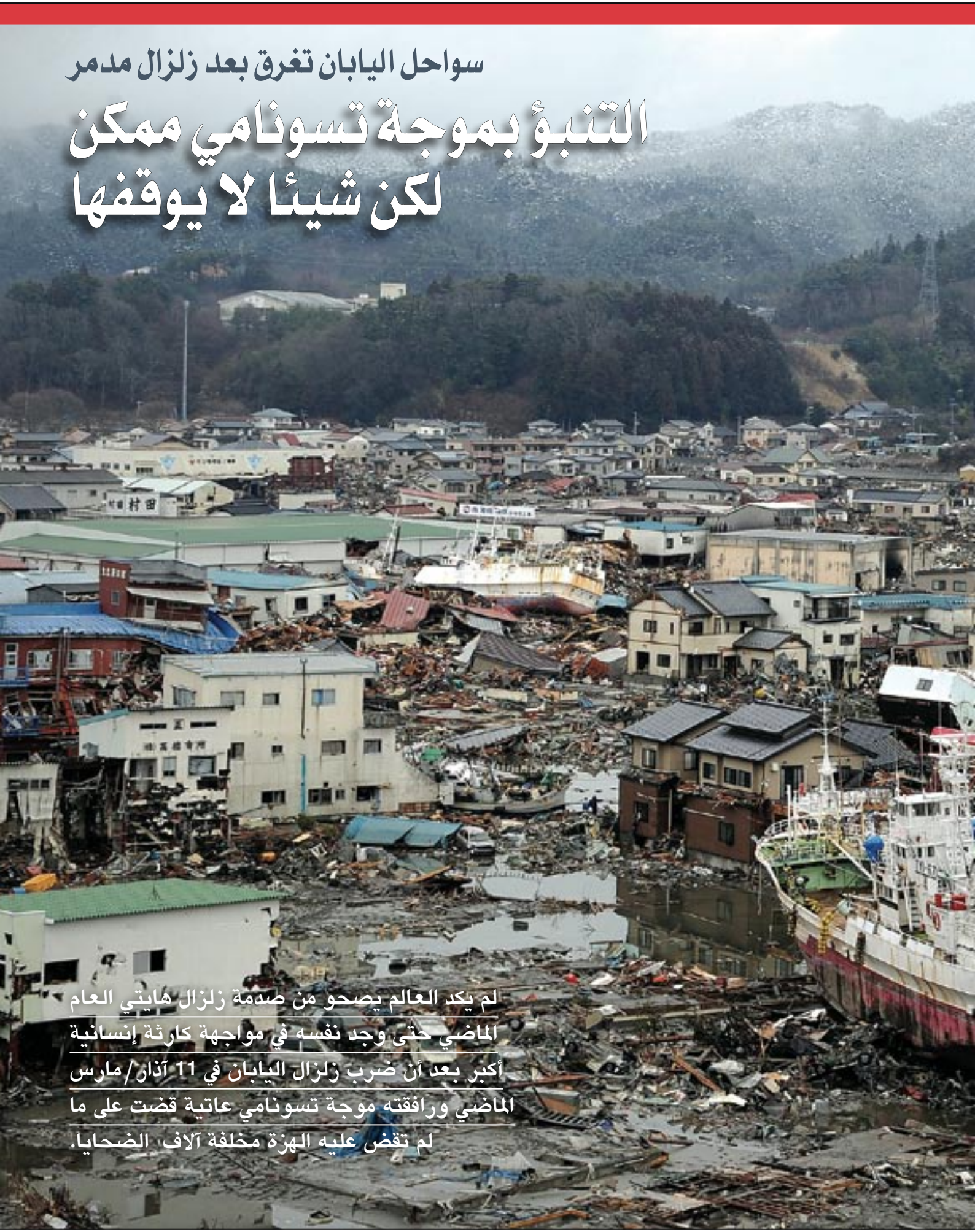

سواحل اليابان تغرق بعد زلزال مدمر

التنبؤ بموجة تسونامي ممكن لكن شيئا لا يوقفها

لم يكد العالم يصحو من صدمة زلزال هايتي العام الماضي حتى وجد نفسه في مواجهة كارثة إنسانية أكبر بعد أن ضرب زلزال اليابان في 11 آذار/مارس الماضي ورافقته موجة تسونامي عاتية قضت على ما لم تقض عليه الهزة مخلفة آلاف الضحايا.

سواحل اليابان تغرق بعد زلزال مدمر: التنبؤ بموجة تسونامي ممكن لكن شيئا لا يوقفها

إعداد: **زينب غصن**

أفاد باحثون كانوا يراقبون ضفادع في موقع تزاوجها أنهم لاحظوا «تغيرا مفاجئا في سلوك» ذكور الضفادع العادية (بوفو بوفو) «قبل خمسة أيام من زلزال **أكويلا** في إيطاليا في السادس من أبريل 2009. «إذ تدنى عدد الضفادع الذكور الموجودة في منطقة التزاوج فجأة بنسبة 96٪». وتشير نتائج هذه المراقبة إلى أن «هذا النوع من الضفادع قادر على توقع النشاطات الزلزالية الكبرى وتكييف سلوكها وفقا لذلك». وكانت قد تمت دراسة حيوانات عدة كالفيلة والأسماك والأفاعي والذئاب بحثا عن أي مؤشر سلوكي استباقي ظهر قبيل زلازل، إلا أنه لم تكتشف أية عناصر واضحة كتلك التي ظهرت لدى الضفادع.

هذا الخبر، إن دل على شيء، فيدل على السعي الحثيث لدى البشر اليوم من أجل إيجاد أية طريقة تمكنهم من التنبؤ بحدوث الزلازل قبل وقوعها، كما بموجات التسونامي التي يمكن أن تنتج عنها إن هي حدثت في البحر، وإن كان باعتماد الضفادع وسلوكياتها لو ثبتت نجاعتها!

لكن لم يكد العالم يصحو من صدمة زلزال هايتي العام الماضي حتى وجد نفسه في مواجهة كارثة إنسانية أكبر بعد أن ضرب زلزال اليابان ورافقته موجة تسونامي عاتية قضت على ما لم تقض عليه الهزة.

وتكمن الصدمة في حال اليابان كون هذا البلد، الواقع في منطقة ناشطة زلزاليا، حيث يختبر يوميا 1000 هزة أرضية يوميًا، وتتجمع فيه 15٪ من الطاقة الزلزالية العالمية، هو الأكثر استعدادا وخبرة لمواجهة هذه الكوارث، ومع ذلك بدا أن الزلزال الذي ضربه، اعتبر الأعنف في التاريخ حتى الآن، فكانت الكارثة أكبر من كل التوقعات والاستعدادات. ولعل ذلك جاء أساسا من الخسائر الكبيرة التي خلفتها موجة تسونامي، كما من النقاش الذي انطلق حول سلامة استخدام الطاقة النووية نتيجة لتضرر مفاعل **فوكوشيما** وحدوث تسرب نووي شبهه بعض العلماء بكارثة **تشيرنوبل**، ما دفع بعض الدول، مثل ألمانيا، إلى الاعلان عن وقف أي اعتماد على الطاقة النووية والاتجاه نحو الاستثمار في مصادر أنظف للطاقة.

«تسو» في اللغة اليابانية تعني «مرفأ» و«نامي» تعني «الموجة» .. لكن «تسونامي» تعني مجموعة من الأمواج العاتية الناتجة عن زلزال تحت الماء

موجة مدمرة

يعني مصطلح التسونامي في اللغة اليابانية المرفأ «تسو»، والموجة «نامي». هي عبارة عن مجموعة من الأمواج العاتية تنشأ من تحرك مساحة كبيرة من المياه، من المحيط أو البحار نتيجة لزلازل، أو تحركات أرضية، وبعض الانفجارات البركانية والانفجارات تحت سطح الماء، والانهيارات الأرضية والزلازل المائية، أو ارتطام المذنبات الكبيرة وانفجارات الأسلحة النووية في البحار. ونتيجة لذلك الكم الهائل من المياه والطاقة الناجمة عن التحرك، تكون آثار التسونامي مدمرة. وحوادث التسونامي شائعة في التاريخ الياباني، إذ سجلت حوالي 195 حادثة إلى الآن. كما شهدت سواحل الهند الجنوبية الشرقية هذه الموجات من قبل نحو 700 عام، وكانت تحدث بانتظام في ذلك الوقت مما تؤكده المنحوتات والحفريات الحجرية.

كان المؤرخ اليوناني **توسيدايديس** أول من ربط الزلازل تحت الماء بالتسونامي، ولكن فهم طبيعة تسونامي ظلت محدودة حتى القرن العشرين، وهو ما زال محط اهتمام كثير من الأبحاث الجارية.

أما منطقة البحر المتوسط، فشهدت تاريخيًّا عددًا كبيرًا من موجات المد البحري الناتجة عن الزلازل والبراكين والانزلاقات الأرضية التي كانت تحدث في قاع البحر، ويعتقد العلماء أن اختفاء بعض حضارات المنطقة جاء نتيجة لموجات تسونامي ضخمة أغرقتها.

ففي التاسع من تموز/يوليو من العام 551 ميلادية أي قبل 1456 عاما ضرب زلزال كبير تبعه مد بحري هائل، الساحل الفينيقي مدمرا معظم مدنه الساحلية. وتقول الوثائق الأثرية إن **طرابلس** غرقت. أما دمار **بيروت** فلم تستطع المدينة أن تتخطاه إلا بعد قرون عدة. فالمنطقة تحتوي على عدد من الفوالق الزلزالية المعروفة والنشطة، والبحر المتوسط شهد على مر التاريخ كوارث كثيرة مشابهة. فقد تسبب انفجار بركان **سانتوريني**، مثلا، وما أطلقه من حمم في البحر في موجة تسونامي ضخمة يعتقد البعض أنها السبب غير المباشر في انتهاء الحضارة المينووية (في

AFP

جزيرة كريت) حوالي العام 3500 ق.م.

أنظمة التحذير

ويحذر باحثون جيولوجيون من أن تأثيرات تسونامي يمكن أن تكون كارثيَّة أكثر من الأحداث السابقة التي حصلت تاريخيًّا؛ بسبب النمو الضخم الذي طرأ على السواحل في عصرنا الحديث، فقد أصبح العديد من مصادر التسونامي موجودا بالقرب من مناطق مأهولة ومكتظة. مثلا في منطقة البحر المتوسط، يبلغ طول الشواطئ 46 ألف كم، منها 40٪ مبنية وتتمدد بشكل مستمر، وستضم المدن الساحلية للبحر المتوسط بحلول العام 2025 حوالي 90 مليون شخص، كما يزورها 312 مليون سائح بحسب منظمة **اليونيسكو**.

عندما تنطلق موجة تسونامي لا يمكن لأحد أن يوقفها. فحتى قيام بعض الدول مثل اليابان ببناء جدار ساحلي في بعض المناطق للوقاية من التسونامي لم يمنع الموجة من التمدد. لذا فمن المهم بالنسبة للدول الواقعة على شواطئ بحار أو محيطات معروفة بتاريخها السيئ، فيما يتعلق بموجات المد البحري، أن تقوم بإجراءات وقائية تخفف من الأضرار، وإن لم تمنعها، مثل التطبيق الملزم لشروط البناء المقاوم للزلازل، ووضع نظام الإنذار المبكر للمد البحري، وإنشاء مؤسسات وطنية للكوارث الطبيعية قادرة على تنسيق جهود المؤسسات الإنسانية ومجابهة المخاطر.

يمكن منع أو التنبؤ بالتسونامي على وجه الدقة حتى ولو كانت مؤشرات الزلزال تشير إلى المكان بشكل صحيح. إذ يحلل الجيولوجيون وعلماء المحيطات ومختصو الزلازل كل زلزال، وحسب عدة عوامل يمكن أن يصدروا تحذيرا من التسونامي. ومع ذلك، هناك بعض علامات التحذير من موجات التسونامي وشيكة الحدوث، التي بنيت عليها أنظمة التحذير حول العالم للحد من أضرار التسونامي.

يمكن استخدام نظام إنذار التسونامي في المناطق التي يرتفع فيها خطره للكشف عن التسونامي وتحذير السكان قبل وصوله إلى الأرض. وساهم وجود نظام تحذير في منطقة المحيط الهادئ واليابان في إجلاء أكثر من 300 ألف مواطن في المناطق اليابانية الساحلية قبل أن تصل إليها الموجة العاتية، ما خفض بشكل كبير من عدد الضحايا.

وعلى السواحل الغربية للولايات المتحدة المعرضة لأمواج التسونامي من المحيط الهادئ، ترشد علامات التحذير السكان إلى طرق الإخلاء. يوجد نظام الإنذار لتسونامي المحيط الهادئ في **هونولولو**، حيث يرصد جميع التموجات الزلزالية التي تحدث في أي مكان في المحيط الهادئ. كما يرصد الزيادة في حجم الموجات، وغيرها، وبناء عليه يتم إرسال الإنذار.

ونتيجة لكارثة تسونامي التي وقعت في المحيط الهندي في العام 2004، أعيد تقييم أنظمة إنذار التسونامي في جميع المناطق الساحلية من قبل الحكومات المحلية ولجنة الحد من الكوارث التابعة للأمم المتحدة. وتم نصب نظام إنذار تسونامي جديد في المحيط الهندي. ويمكن لنموذج الحاسب الآلي التنبؤ بالتسونامي قبل وصوله، فقد أظهرت الملاحظات أن التوقع يكون في غضون دقائق من وصول التسونامي. كما أن أجهزة الاستشعار التي تعمل بالضغط في قاع المحيطات قادرة على التنبؤ بالوقت الحقيقي، فبناء على القراءات وبعض المعلومات عن التحرك الزلزالي في قاع البحر وقياس الأعماق وتضاريس الأراضي الساحلية، يمكن تقدير السعة، وبالتالي زيادة الطول، من الاقتراب من التسونامي. وكل الدول التي تقع على الحدود في المحيط الهادئ تتعاون في نظام الإنذار من التسونامي . وتمارس بانتظام تدريبات الإخلاء وغيرها من الإجراءات لإعداد الشعب لكارثة تسونامي التي لا مفر منها. كما أنشئت لهذا الغرض نهاية العام 2005 مجموعة تنسيق دولية لدول المتوسط مهمتها إنشاء نظام رصد مبكر لمنطقة شمال شرق الأطلنطي والبحر المتوسط والبحار المتصلة به (ICG/NEAMTWS).

ويعتقد بعض علماء الحيوان أن الحيوانات لها القدرة على استشعار صوت موجات الراليلغ الصادرة عن الزلزال أو التسونامي. كما أن بعض الحيوانات لديها القدرة على الكشف عن الظواهر الطبيعية، وقد يصح القول بأن المراقبة والرصد الدقيق يمكنها أن تعد إنذارًا مسبقًا للزلازل والتسونامي وغيرها، غير أن هذه الأدلة محط جدل وغير مثبتة علميا. لذلك من غير الممكن منع التسونامي.ومع ذلك، في بعض البلدان المعرضة للتسونامي أجريت بعض حسابات هندسة الزلازل، وجرى وضع بعض التدابير للحد من الأضرار التي يمكن أن تلحق بالشاطئ. كما بنت اليابان جدار التسونامي الذي يرتفع إلى 4,5 متر (13,5 قدم) أمام المناطق الساحلية المأهولة بالسكان. كما قامت دول أخرى بحفر قنوات لإعادة توجيه المياه القادمة من التسونامي.ولكن فعالية هذه القنوات موضع تساؤل، لأن موجة التسونامي تعتلي تلك الحواجز في كثير من الأحيان ■

AFP

إيف داكور*

REUTERS

حماية المدنيين: الدروس المستفادة من ليبيا وساحل العاج

أذن مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة بالتدخل العسكري في ليبيا، وكذلك في ساحل العاج. وبرّر قراره في كلتا المناسبتين مستندًا إلى ضرورة حماية المدنيين، ومنع وقوع المزيد من القتلى في صفوفهم.

واجتمع مجلس الأمن يوم 10 أيار/مايو في **نيويورك** لمناقشة مسألة توفير الحماية للمدنيين. وقد تكون هذه هي المرة الأولى التي تضيق فيها، إلى أبعد الحدود، الفجوة القائمة ميدانيًا بين أوجه التقدم المحرزة على الأصعدة السياسية والعسكرية والسياساتية والواقع الإنساني.

وعلى الرغم من اتخاذ هذه المبادرات الرامية إلى حماية المدنيين - أو بسببها، فإن رفع التحدي الرامي إلى تقديم مساعدات إنسانية غير متحيزة ومحايدة أصبح أمرًا بالغ الصعوبة. ووُضع المجتمع الإنساني الدولي أمام اختبار عسير في حالتي ليبيا وساحل العاج، على حد سواء.

وتردى الوضع الإنساني في ليبيا إلى درجة مفزعة، وهو ينتقل الآن من سيئ إلى أسوأ – ولا سيما في مدينة مصراتة المحاصرة، التي تعطلت فيها، إلى حد كبير، إمدادات المياه وخدمات الرعاية الصحية والخدمات الأساسية الأخرى، هذا إن لم تكن قد توقفت تمامًا. وتعمل المستشفيات في ظل ضغوط شديدة. وأدى

القصف، الذي تعرضت له مؤخرًا، إحدى السفن التي تحمل مساعدات إنسانية وأشخاصًا مصابين خارج مدينة مصراتة - وهو الحادث الثاني من نوعه خلال الأسابيع القليلة الماضية - إلى وقوع المزيد من القتلى، وإلى اشتداد المعاناة.

وفي المناطق الأخرى التي تضررت من عمليات القتال، مثل أجدابيا، فر عشرات الآلاف من الأشخاص من ديارهم. ولا يشكل الوضع الأمني المتدهور العائق الوحيد، الذي يحول دون عودتهم إليها، بل يمنعهم أيضًا الخطر المستمر الذي تنطوي عليه الذخائر غير المتفجرة. وأصبح وصول المنظمات الإنسانية إلى المحتاجين في العديد من المناطق، ولا سيما في طرابلس وغرب ليبيا، يمثل إشكالية معقدة، ولم يتمكن إلاّ القليل النادر منها من العمل بصورة فعالة والوصول إلى الأشخاص المحتاجين.

وفي الوقت نفسه، فإن الوضع الإنساني في مناطق غرب ساحل العاج، القريبة من الحدود مع ليبيريا، لا يزال وضعًا حرجًا. ودُمّرت قرى بأكملها بسبب النزاع الدائر، واشتدت على وجه التحديد حاجة السكان المقيمين والنازحين إلى الغذاء والماء والمأوى والرعاية الصحية. وتسبب تحطيم ونهب العديد من المستشفيات ومراكز الرعاية الصحية في اشتداد الحاجة إلى الأدوية

والإمدادات الطبية. ومع ذلك، وصل حجم الاستجابة الإنسانية، في مجمله، إلى حد يرثى له.

وتعد اللجنة الدولية مع الجمعية الوطنية للصليب الأحمر من بين المنظمات الإنسانية الوحيدة التي لا تزال قادرة على الوصول إلى الأشخاص المحتاجين دون مرافقة عسكرية.

ومع صدور جميع هذه البيانات والقرارات الصائبة بشأن حماية المدنيين على المستوى السياسي، فما هي إذن الأسباب التي أدت إلى تقييد الجهود الإنسانية الرامية إلى حماية المدنيين ومساعدتهم على أرض الواقع؟

وبعيدًا عما نشهده من عدم احترام الدول والأطراف الفاعلة من غير الدول على نحو صارخ للقانون الدولي الإنساني، وهو ما يشكل جوهر المعاناة الممتدة على نطاق واسع، فإن أحد الأسباب الرئيسية لهذا الوضع يكمن في زيادة تسييس المساعدات الإنسانية وإضفاء الطابع العسكري عليها. ويشمل ذلك توظيف الدول للمساعدات وجعلها أداة لإدارة النزاعات ووسيلة لتعزيز مصالحها الخاصة. وقد يكون من الصعوبة بمكان، في حالتي كل من ليبيا وساحل العاج، الفصل، على مستوى التصور العام على الأقل، بين المخططات السياسية والعسكرية والإنسانية للأطراف الفاعلة الدولية الرئيسية. وقد يصبح هذا الوضع قضية شائكة حينما تضطلع بعثة متكاملة من بعثات الأمم المتحدة بأدوار عسكرية وإنسانية في الوقت ذاته، وتتحول بشكل فعلي إلى طرف من أطراف النزاع، كما هو الحال في ساحل العاج. وسيؤدي عدم وضوح الأدوار في نهاية المطاف إلى تعقيد أو إعاقة وصول المساعدات الإنسانية غير المتحيزة إلى السكان الموجودين على طرفي النزاع، وهو الواقع الذي لا يطال الوكالات التابعة للأمم المتحدة وشركاءها التنفيذيين فقط، بل يطال المنظمات الأخرى أيضًا.

ويكمن السبب المهم الآخر في أداء وسلوك الأطراف الفاعلة الإنسانية نفسها. وفي حين أن الكثير من المنظمات الإنسانية تدعي تمسكها بالمبادئ الأساسية والتزامها بالحياد والاستقلال فضلًا عن عدم التحيز (الذي يشكل الحد الأدنى)، فإن القليل منها فقط هو الذي يطبق ذلك في ممارساته. وهناك ميل إلى استبدال المبادئ بالسلوك البراغماتي كلما كان ذلك مناسبًا، وهو ما يحد في نهاية المطاف من إمكانية إيصال المساعدات الإنسانية القائمة على المبادئ الحقة.

تسييس المساعدات الإنسانية وإعطاؤها طابعًا عسكريًا يزيدان الأوضاع تعقيدًا

REUTERS

ومع تكاثر الأطراف الفاعلة التي تدعي اضطلاعها بتنفيذ أعمال الحماية، فإن كل تنسيق فعال وذي مغزى يجب أن يستند إلى احترام حقيقي لبعض المبادئ الأساسية بدلًا من الاستناد إلى آليات وإجراءات تنسيق ما فتئت تزداد صقلًا مع مرور الزمن. ومن أجل تكريس الشفافية والمساءلة، فإنه يتعين علينا جميعًا أن نكون واقعيين وواضحين عند الحديث عن القدرات المتاحة لدينا في حالات الطوارئ، بما في ذلك عند تحديد الأماكن التي يمكننا الوصول إليها والأماكن التي لا تتاح لنا فيها فرص لذلك، والمناطق التي يمكننا فيها تنفيذ الأنشطة بأنفسنا، والمدى الذي يمكننا فيه العمل عن طريق الشركاء التنفيذيين. وفي حالة توكيل الشركاء الاضطلاع بأنشطتنا، فإلى أي مدى يمكننا مراقبة هذه الأنشطة؟ وهل نحن الآن بصدد الاستعانة فعليًا بمصادر خارجية لمواجهة الأخطار التي أصبحنا غير مستعدين لتحملها؟

ويشكل التحدي الرامي إلى حماية المدنيين - بجميع أبعاده المختلفة- مهمة شاقة. ويتعين على الدول والأطراف الفاعلة غير الحكومية والجهات المانحة والمنظمات الإنسانية أن تؤدي الأدوار المحددة المنوطة بها. وإنه لمن السهل للغاية إلقاء اللائمة على الآخرين عن كل فشل يحدث.

ويجب على الدول، والأطراف الفاعلة من غير الدول، أن تظهر الإرادة السياسية والنية الحسنة اللازمتين لتحويل الأحكام القانونية إلى واقع ملموس، وأن تأخذ على محمل الجد التزاماتها المتعلقة بحماية المدنيين. ويجب أن تُمنح الأولوية للمساعدات وأن يجري تخصيصها بشكل دقيق على أساس الاحتياجات الإنسانية، وليس على أساس الأهداف السياسية والعسكرية والاقتصادية المنشودة. ويمكن للمنظمات الإنسانية، بما فيها اللجنة الدولية، أن تبادر إلى إجراء تقييم صادق لقدراتها ومجالاتها المحدودة، وأن تلتزم التزامًا حقيقيًا بجعل الكلمات المعسولة والنيات الحسنة تتطابق مع الحقائق الملموسة على أرض الواقع، إذ إن حياة أعداد لا تحصى من ضحايا النزاعات من رجال ونساء وأطفال تتوقف على اتخاذ هذه الخطوات ■

السلوك البراغماتي يحد من إمكانية إيصال المساعدات القائمة على المبادئ الحقة

★ Yves Daccord المدير العام
للجنة الدولية للصليب الأحمر، جنيف

عالقان في السلوم

رشا محمود*

ICRC

أبو بطرس، أو نهر. ذكر أو أنثى: لا فرق، فالاثنان علامتان على أن المعاناة مشتركة، والألم واحد بين جميع البشر، بغض النظر عن ألوانهم أو أعراقهم أو أديانهم. فهما نموذجان لما يعيشه آلاف ممن فروا من الاضطرابات التي تشهدها ليبيا، لاجئين إلى معسكرات على الحدود مع الدول المحيطة، في انتظار العودة إلى أوطانهم أو الذهاب نحو المجهول.

* صحافية مصرية

هرب من الحرب في بلاده ليلاقيها في ليبيا

أبو بطرس.. أو فصول

كان يتحرك على مهل، كأنه ينتظر حلما ما خلف الأسوار الحديدية لمعبر **السلوم** البري، على الحدود المصرية– الليبية. رأيته يرمي ببصره حادا وبعيدا، كأنه يريد أن يجتازها ويجتاز كل هذه القيود التي كبلته طوال رحلة حياته القصيرة. رغم الرحلة الشاقة، وغير التقليدية، التى عاشها طوال الأعوام العشرة الأخيرة من عمره، فإنه لا يزال مبقيا على الأمل. ثقته بغد أفضل أثارت لديّ علامات استفهام كثيرة، أهمها: من أين له كل هذا التفاؤل؟ اتفقنا على أن نسميه باسم مستعار، ليتحدث بحرية أكثرعن تجربته كعالق على الحدود، قادما من ليبيا.

بدأ **أبو بطرس** حياته بالهروب من موطنه الأصلي، في إحدى دول شرق إفريقيا، مع نهاية 2008. قرر الهروب من التجنيد الإجبارى الذى تفرضه قوانين بلاده. يكره **أبو بطرس** الحرب والدمار والموت، فوالده وأخوه قُتلا فى الحروب التى مرت بها بلاده فى السنوات الأخيرة: «**يكفي ما شهدته من موت وحرب ودمار، هكذا قلت لنفسي، وقررت أن أعيش بهدوء وسلام**». نزح **أبو بطرس** برا إلى ليبيا مع بداية العام 2008. ولأنه هارب من التجنيد الإجبارى، لم يتمكن أبدا من الحصول على أية أوراق رسمية عند خروجه. وعمل في طرابلس لسنوات في البناء وصيانة كهرباء المنازل: «**رغم صعوبة العمل ومشقته وبعض الصعوبات الأخرى الخاصة بالتواصل مع الناس، إلا أنه لا شيء يعادل السلام النفسي والاستقرار**». هكذا يصف **أبو بطرس** الفترة التي لحقت هروبه من بلده إلى ليبيا. هناك استقرت أحواله، وتزوج من فتاة تحمل جنسيته نفسها، وأنجب منها مولودا لم يره إلى الآن. كأن الشقاء قدره.

وكأنه لا مفر من الحرب. لم يهنأ **أبو بطرس** كثيرا بحياة الاستقرار والسلام النفسي، فبعد زواجه اعتُقل مع عدد من الأفارقة فى **طرابلس** في الغرب، وانتقل إلى سجن في بنغازي في الشرق، ويقول إن الأشهر الثلاثة التي قضاها في السجون كانت «**فصلا في الجحيم**». مع بداية الاحتجاجات فى ليبيا، فُتحت السجون، وهرب كثير من المساجين إلى الشوارع ليواجهوا مصيرا مجهولا. ورغم فرحه بحريته، واجه **أبو بطرس** معضلة جديدة، بسبب شك أغلب الليبيين في المناطق الشرقية من البلاد في أن أصحاب البشرة السمراء هم من المرتزقة. ولذلك، قرر الرحيل من بنغازي مع أفارقة آخرين واجهتهم المعضلة ذاتها.

هنا بدأت رحلة معاناة جديدة **لأبي بطرس**، الذى حاول الوصول إلى زوجته، لكنه لم يستطع، بالطبع، حين علم بقطع الطرق واندلاع مواجهات على طول المسافة من **بنغازي** إلى **طرابلس**، لكنه علم خبرا آخر زاده حزنا وألما، فقد أنجبت زوجته وليده قبل أسبوع من اندلاع الأزمة فى ليبيا، واضطرت إلى النزوح هي الأخرى إلى تونس، ففقد

REUTERS

آخر فرصة للقائها، إذ كان عليه أن ينزح في اتجاه معاكس، إلى مصر.

لم يكن الخروج من **بنغازي** أمرا سهلا، فقد ظل **أبو بطرس** مع رفاقه يبحثون عن مكان يختبئون فيه، وسارعوا بالبحث عن أقرب كنيسة ثم ساروا إلى البحر، أملا في وصول سفينة تنقلهم إلى خارج ليبيا. ولم يكن لينجح فى ذلك حتى وصلت ثلاث سيارات تابعة **للجنة الدولية**، نقلتهم من **بنغازي** إلى معبر **السلوم** البري. ولم تكن معه أية أوراق هوية، فطلب من بعثة **مفوضية اللاجئين** البحث له عن فرصة لجوء إلى أي بلد آخر، بعد التوصل إلى أوراق هويته من بلده الاصلى.

يعيش **أبو بطرس** في منفذ **السلوم** البرى كبقية أقرانه. يرفض العودة إلى بلده الأصلى، ويتمنى أن يرى وليده، ويحاول عبر برنامج **إعادة الروابط العائلية** التابع **للجنة الدولية** الوصول إلى معلومات تطمئنه على زوجته وابنه الذي قال إنه سيطلق عليه اسم **بطرس**، في وقت ما تزال **اللجنة الدولية** تحاول جاهدة عن طريق مبعوثيها وموظفيها الوصول إلى زوجته ■

من الجحيم

لم تختر حاضرها ولا تعرف مستقبلها

نهر.. في انتظار مجهول جديد

لا تلمع عيناها إلا عندما تبكي. الوميض الإنساني الذي اختفى منهما جعلها أشبه بأرض جافة لم تسقط عليها قطرة ماء من قبل. وليست رحلة عذابها، كعالقة على منفذ **السلوم** البري، على الحدود المصرية الليبية، إلا حلقة أخيرة في رحلتها الإنسانية الطويلة التي بدأت في وطن قطعت اوصاله الحروب وانتهت فى بقعة من الأرض لا تعرف عنها شيئا، محاصرة بالغربة وشبح الموت.

وليس لها من اسمها الحقيقي نصيب، فدلالته تعنى الكثير من الرخاء والخير والاستقرار والسكينة، لذلك اتفقنا على أن نسميها **نهر**، فربما يكون لها من اسمها الجديد نصيب.

جاءت نهر من بلدها الأصلى الواقع في غرب **أفريقيا**، وعندما كبرت كان عليها أن تبحث عن مصدر رزق لها، ولم تجد سوى اللجوء إلى الحل ذاته الذي تلجأ إليه كل البنات الفقيرات في بلادها، وهو أن تبيع قوة عملها لأحد السماسرة الذين يجمعون فتيات من بلدان أفريقية مختلفة للعمل في دول ثرية، مقارنة بدولهن. وجدت **نهر** طريقا إلى ليبيا مع عدد من الفتيات القادمات من **الصومال وبنجلاديش** ودول أخرى، عبر الهجرة السرية بالطبع.

وصلت **نهر** إلى بنغازي- شرق **ليبيا** منذ عام تقريبا، وخلال فترة عملها في أحد البيوت الليبية، لم تجمع سوى القليل من المال، ولم تكن تتصل بأسرتها إلا نادرا. وفى 19 شباط/ فبراير، بعد يومين من بدء الاضطرابات في ليبيا، طلب منها صاحب البيت أن تنصرف، وأن تبحث لها، مثله وعائلته، عن مهرب من **بنغازي**. وهكذا وجدت **نهر** نفسها وحيدة مجددا، وسط أصوات الرصاص، لكنها علمت أن غالبية الفتيات اللاتي يعملن في الأحواش* اجتمعن فى مكان واحد آمن فى **بنغازي**، فذهبت إلى هناك لترى كل صديقاتها ممن خرجن مثلها بشكل غير قانوني من بلدانهن، بحثا عن الرزق. كانت حالتهن مزرية، فقد هربن بدون أمتعة أو ملابس، وأنفقن ما تبقى معهن من نقود خلال فترة الهرب والاختباء.

في مخبئها، علمت **نهر** ورفيقاتها أن الأجانب يتجهون إلى شاطئ **بنغازي** ليستقلوا مراكب تنقلهم خارج الحدود الليبية، لكنها بقيت مع رفيقاتها في مكانهن بسبب اشتداد القتال في **بنغازي** وقتها. ولم ينفتح باب الأمل إلا عندما ظهرت سيدة تعمل مع **الهلال الأحمر الليبي**، وساعدت أغلب الفتيات على الانتقال، عبر حافلات إلى معبر **السلوم** البري. وهناك قابلنا **نهر** التي كانت لا تزال، مع عدد كبير من صديقاتها، في انتظار مجهول جديد.

في انتظارها، حاولت **نهر** جاهدة الاتصال بعائلتها بعد انقطاع دام شهورا، ولكنها فشلت، إلى أن قابلت أعضاء في بعثة **اللجنة الدولية** فى معبر **السلوم**، وطلبت منهم الوصول الى أي شخص من العائلة. وبواسطة برنامج «**إعادة الروابط العائلية**» نجحت في الاتصال بعائلتها، لينفتح لها باب أمل جديد.

حين سألنا **نهر** عن المستقبل، بدت كأنها لا تعرف معنى الكلمة. هي لم تختر حاضرها ولا تعرف للمستقبل طريقا، وكل أحلامها الآن تتركز في أن تنجح **مفوضية اللاجئين** في العثور لها على بلد آمن تبدأ فيه حياة جديدة ■

* الحوش اسم يُطلق على البيت الشعبي في ليبيا

بينما تستمر الاضطرابات وأعمال العنف في الانتشار في مختلف أنحاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، يعرض نائب مدير العمليات في اللجنة الدولية السيد "دومينيك شتيلهارت" التحديات التي تواجهها في المنطقة الطواقم الطبية المحلية والمستشفيات، والدعم الذي توفره اللجنة الدولية في هذا المجال.

ICRC

الوصول إلى المصابين مسألة حياة أو موت

مواجهة حالات الطوارئ وسط موجة الاضطرابات

■ **ما هي التحديات الطبية الأهم والأولويات البارزة في أعقاب الاضطرابات التي اندلعت مؤخرًا؟**

– لقد أدى العنف عمومًا إلى سقوط الكثير من القتلى وتسبب بأعداد كبيرة من الإصابات. فالنزاع المسلح محتدم في ليبيا ويستمر ارتفاع عدد المصابين هناك.

واندلعت اضطرابات مدنية في أماكن أخرى على خلفية نزاع مسلح كان قائمًا أصلًا كما هو الحال في اليمن حيث يستمر النزاع المسلح في شمال البلاد منذ فترة طويلة بالرغم من أن أخباره لا تحظى بتغطية واسعة. وفي العراق أيضًا لا يزال العنف المرتبط بالنزاع المسلح الجاري يتسبب في قتل وجرح مئات الأشخاص. فحين تضاف الاضطرابات المدنية إلى أوضاع إنسانية هشة أصلًا في بلد أنهكته سنوات طويلة من النزاع المسلح، يمكن أن تكون النتائج كارثية في ما تعنيه من خسائر في الأرواح.

ولهذا تكمن إحدى أولى أولوياتنا في دعم الطواقم الصحية المحلية في مهمتها القاضية بإنقاذ الأرواح، وضمان حصول الناس الذين يحتاجون إلى رعاية طبية عاجلة، ولاسيما أولئك الذين أصيبوا بجراح أثناء أعمال العنف، على المساعدة المطلوبة. ولا يسعني إلا أن أشدد على أهمية منح العاملين في مجال الرعاية الصحية إمكانية الوصول فورًا إلى الجرحى والمرضى والسماح لهم بأداء مهامهم بصورة آمنة. إنها حقًا قضية حياة أو موت.

■ **ما الذي تفعله اللجنة الدولية لمواجهة تلك التحديات؟**

– إن رعاية الجرحى والمرضى، والتخفيف من المعاناة، وإنقاذ الأرواح، مهام أساسية من عملنا اليومي وكذلك عمل شركائنا داخل الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر.

وفي أعقاب الاضطرابات المدنية وأعمال العنف الأخيرة في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، بذلنا ولا نزال نبذل كل ما بوسعنا لمساندة مقدمي الإسعافات الأولية. وهذا يعني العمل بتعاون وثيق مع الجمعيات الوطنية للهلال الأحمر أو الصليب الأحمر في البلدان المتضررة ومع وزارات الصحة وغيرها من السلطات الحكومية المعنية والمنظمات المحلية.

ففي مصر على سبيل المثال، تتحمل وزارة الصحة مسؤولية الإسعافات الأولية ورعاية حالات الطوارئ. ويساعد الهلال الأحمر المصري في تحديد الاحتياجات، بينما تلعب أيضًا منظمات أخرى دورًا مهمًا ويساهم كذلك في العمل أفراد يتطوعون بعرض خدماتهم عندما يندلع العنف كما فعله الكثيرون في **ميدان التحرير** في **القاهرة**.

■ **ما هي المخاطر الرئيسية التي يواجهها مقدمو الرعاية الصحية؟**

– يتعرض مقدمو الرعاية الصحية المحليون لمخاطر كبيرة ويواجهون تحديات هائلة سواء أثناء تنقلهم بين الحواجز على الطرقات أو في مواجهتهم لتدفق مفاجئ من المصابين بجراح أحدثتها الأسلحة. وقد دفع بعضهم ثمنًا غاليا لهذا الاندفاع. ففي ليبيا أصيب متطوعان بجراح يوم 3 آذار/مارس حين تعرضت سيارات إسعاف الهلال الأحمر التي كانوا يستقلونها لإطلاق النار في **مصراتة** غرب **بنغازي**.

ICRC

الطبية المدنية

إن مهاجمة أولئك الذين يقدمون الرعاية الطبية وإعاقة المرور الآمن لسيارات الإسعاف أمر لا يمكن قبوله إطلاقًا. فيتوجب على جميع الذين يشاركون في أعمال العنف حماية الطواقم الطبية والمرافق الطبية وأي سيارة تستخدم كسيارة إسعاف.

ويتعرض بصورة خاصة المسعفون للمخاطر والإعاقات في أداء مهامهم لأنهم غالبًا ما يكونون أول من يصل إلى مكان الأحداث. وإنه لأمر حيوي أن يسمح لهم بأداء مهامهم بشكل آمن وبصورة عاجلة.

وبينما يمكن في أغلب الأحيان معالجة الإصابات الخفيفة في المكان، يجب أن ينقل المصابون بجروح خطيرة إلى المستشفى. وتتولى خدمات الطوارئ الطبية تثبيت حال المرضى وتلجأ إلى فرز الحالات لضمان معالجة المرضى من ذوي الإصابات الأخطر قبل غيرهم. وتدعم اللجنة الدولية الخدمات الطبية المحلية في جهودها الرامية إلى العناية بالجرحى، وتتأكد من أن جميع المرضى والجرحى يتلقون المساعدة بغض النظر عن انتماءاتهم. فالأولوية تكمن في ضمان حصولهم على الرعاية التي يحتاجونها.

■ كيف تشجع اللجنة الدولية على الامتثال للقواعد التي تحمي المرضى والجرحى والذين يقدمون لهم العلاج؟

– من خلال توعية الجميع بهدف العاملين في مجال الصحة أي مساعدة الناس، وبواجب احترام وحماية المرضى والعاملين في مجال الصحة. ويمكن تحقيق ذلك من خلال الحوار مع كل المشاركين في أعمال العنف، من قوات الأمن والشرطة والمتظاهرين كذلك، ومع الأطراف في نزاع مسلح. وتكمن أساسًا إحدى مهماتنا في الاستمرار في تذكير كل الجهات بواجباتها، كلما كان ذلك ضروريًا، ومهما تطلب من الوقت.

إنني أرى أن احترام وحماية الطواقم الطبية والمرافق الطبية وسيارات الإسعاف في كل الأوقات هو واجب إنساني إلزامي لقوات الأمن والشرطة وأي شخص آخر يشارك في أعمال العنف. هذا هو المطلوب والإخفاق في أداء ذلك غير مقبول إطلاقًا.

■ هل تستطيع إعطاء بعض الأمثلة عن كيفية دعم اللجنة الدولية للطواقم الطبية في البلدان المتضررة من العنف؟

– إن هذا النوع من الأنشطة هو جزء أساسي من مهمتنا ونحن نعمل على حماية الجرحى والمرضى منذ أكثر من 150 عامًا. ولهذا كنا حتى قبل اندلاع الاضطرابات ندعم الأنشطة الصحية في عدة بلدان من بين تلك التي شهدت مؤخرًا أعمال العنف.

ففي تونس ومصر، كانت اللجنة الدولية تتعاون منذ وقت طويل مع الجمعيتين الوطنيتين للهلال الأحمر. وخلال الأحداث الأخيرة في مصر، قدمنا إلى حوالي عشرة مستشفيات ما يكفي من الإمدادات لمعالجة 1000 جريح يعانون من إصابات خطيرة. إضافة إلى ذلك، أعطينا الهلال الأحمر المصري ما يكفي من اللفافات ومستلزمات التضميد لمعالجة 5000 مريض. وتأكدنا أيضًا من إمكانية توفير عدد إضافي من مجموعات التضميد المخصصة للطوارئ تكفي لمعالجة 5000 شخص يعانون من إصابات طفيفة.

وفي بلدان أخرى مثل اليمن والعراق تقوم اللجنة الدولية بدعم المرافق الصحية المحلية منذ عشرات السنين. وفي اليمن تعمل اللجنة الدولية حاليًا على مدار الساعة من أجل تقديم الإسعافات الأولية في المناطق التي تجري فيها التظاهرات، بينما تؤمن الإمدادات الجراحية والطبية وتوفر للمتطوعين التدريب على الإسعافات الأولية. أما في العراق فيتلقى العاملون في الطواقم الطبية التدريب بصورة منتظمة من أجل مساعدتهم على مواجهة تدفق الأعداد الكبيرة من الإصابات الناجمة عن النزاع المسلح الجاري. وإننا مستعدون لتقديم المزيد من المساعدة إذا ما دعت الحاجة لذلك.

وفي البحرين التي تغطيها بعثتنا الإقليمية في الكويت، قمنا بمهمة تقييم ميداني بالتعاون مع الهلال الأحمر البحريني خلال مرحلة مبكرة من الاضطرابات. ووضعنا لدى الهلال الأحمر البحريني مخزونًا جاهزًا من مواد الإسعافات الأولية وكمية كافية من الإمدادات الجراحية اللازمة لمعالجة ما يصل إلى 250 مصابًا.

وخلال المراحل الأولى من القتال في ليبيا، أرسلنا هناك فريقين طبيين يضمان أطباء جراحين وممرضات من أجل مساعدة الأطباء المحليين على مواجهة العدد الكبير من الإصابات التي كانت تصل إلى المستشفيات في بنغازي وإجدابيا. وجددنا أيضًا، بالعمل مع الهلال الأحمر الليبي، مخزون إمدادات الطوارئ المتوفر في تلك المرافق. علاوة على ذلك، وبالتنسيق مع اللجنة الصحية في **بنغازي** والهلال الأحمر الليبي، نظم الفريقان الطبيان التابعان للجنة الدولية ندوة جراحية حضرها أكثر من 70 طبيبًا وممرضًا ليبيًا في مستشفى الجلاء. وحسب آخر الأخبار الواردة من ليبيا، وصل فريق من مندوبي اللجنة الدولية إلى طرابلس يوم 30 آذار/مارس من أجل مناقشة القضايا الإنسانية المثيرة للقلق مع المسؤولين الليبيين ■

ربى عفاني* وياسر الزيات

رحلة الحاجة نعيمة: من الوحدة إلى دفء العائلة

وحيدة بلا معيل أو قريب، نظرات الحزن الممزوجة بأمل لقاء الأهل في **غزة** بادية في عينيها. ربما لم تكن تفكر سوى في لقاء ابنها وعائلته. الحاجة **نعيمة** ذات الثمانين عاما ونيف لم تر أولادها منذ ثماني سنوات، بسبب انقطاع سبل الاتصال، وضيق الحال، ولصعوبة تحركها للحصول على الوثائق اللازمة لسفرها إلى **غزة**.

«**لا أستطيع العيش وحدي، رحل عبد الله عن هذه الدنيا وليس لي أحد، أريد أن أرى أحفادي وأن أكون بجانبهم، أحس بأن قلبي يرقص من الفرح لأنني سوف أذهب إليهم غدا**». هكذا استقبلت الحاجة **نعيمة** مندوبي اللجنة الدولية عند زيارتهم منزلها في **عمان** ترتيبا لمغادرتها في اليوم التالي إلى **القاهرة**، في الطريق إلى **غزة**.

في العام 1976 عبر **عبد الله**، الابن الأصغر سنا من أصل خمسة أبناء، من **غزة** إلى **الأردن**. لحقت به والدته الحاجة **نعيمة** ووالدتها، ولكن أحوال **عبد الله** الصحية ساءت خلال السنوات العشرين الماضية. وبعد وفاته، أخذت حالتها هي الصحية تتدهور من سيئ إلى أسوأ.

لجأ ابنها الأصغر **عبد الرحيم أبو كويك** إلى مكتب **اللجنة الدولية** في غزة خلال تشرين الأول/ أكتوبر 2010 طالبا مساعدته في جمع شملها به. ووافقت **اللجنة الدولية** على تقديم كل الطلبات اللازمة للحصول على التصريح وتنسيق عملية النقل مع السلطات المصرية والأردنية. يقول **جوهان غييوم** منسق الحماية في بعثة **اللجنة الدولية في عمان**: «**يحظى الأشخاص المسنون والأطفال بالأولوية لدى اللجنة الدولية التي تبذل كل ما في وسعها لجمع شمل الذين تشتتهم النزاعات**».

لم تكن شمس الخامس عشر من كانون الأول/ ديسمبر 2010 قد أشرقت، عندما وصل موظفو اللجنة الدولية إلى بيتها. كانت الساعة الخامسة صباحا، وساعد الجيران على نقل **نعيمة** على مقعد بلاستيكي من منزلها إلى الشارع الرئيسي، حيث تنتظرها سيارة **اللجنة الدولية**. في الطريق إلى المطار، أشرقت الشمس، ومعها أشرق الضوء في عيني الحاجة **نعيمة**، فامتلأتا ببريق فرح ممزوج بالتوتر، وأحكمت قبضتها على كيسها الصغير الذي يحمل وثائق سفرها وبعض أوراقها المهمة وأدويتها.

استقبلها موظفو اللجنة الدولية في مطار **القاهرة**، بعد التنسيق مع السلطات المصرية. ووفرت **جمعية الهلال الأحمر المصري** سيارة إسعاف مع طبيب لتنقل الحاجة **نعيمة** إلى مدينة **العريش**، على الحدود مع قطاع **غزة** الفلسطيني. وطوال المسافة التي استغرق قطعها نحو أربع ساعات، لم تكن ابتسامة الحاجة نعيمة تفارق شفتيها وعينيها. وفي الطريق، كانت تتحدث عن سنوات معاناتها بأسلوب قصصي شيق، وبنوع من الرضا عن حياتها، وبدا أنها مقبلة على الحياة بشدة.

– «**ألا تخافين من إمكانية نشوب حرب جديدة في غزة؟**».

– «**ما الذي يمكن أن يحدث؟ سأجد من يغسلني عند موتي على الأقل. من عاش حياتي لن يخاف من شيء؟**».

تتحدث الحاجة **نعيمة** بتركيز شديد، وتختار كلماتها بعناية، وتحرص على الابتسام دائما في وجه محدثها، كما تحرص على أن يبدو في عينيها نوع من الامتنان لمن يساعدها: «**لا أحب أن أتعب الناس معي**». وفي **العريش**، حيث باتت ليلتها، تمهيدا لعبورها معبر **رفح** الحدودي في اليوم التالي، لم تنم الحاجة **نعيمة**: «**سعيدة، وقلقة، ومتوترة. لا أريد أن أكون ثقيلة عليهم**». لدهشة موظفي اللجنة الدولية، استفاقت بكامل نشاطها، على الرغم من طول رحلتها من **عمان** إلى **القاهرة** إلى **العريش**، متطلعة إلى استكمال رحلتها نحو **غزة**.

انطلقت سيارة الإسعاف من الفندق إلى معبر **رفح**، حيث ينتظرها على الجانب الآخر مندوبو اللجنة في **غزة**.

ICRC

تستعيد الحاجة **نعيمة** حياتها الماضية في لمحة خاطفة: «**كان يومي يبدو لي كأنه سنة، أنتظر عطف هذا الجار أو ذاك، ولكن هذا الوضع آن له أن ينتهي**». وفي المعبر، تمت الإجراءات بسهولة بالغة، بفضل تعاون المسئولين في **محافظة شمال سيناء والهلال الأحمر المصري**. كانوا في انتظارها، حتى أن كثيرا من موظفي المعبر حرصوا على مصافحتها. وعبرت الحاجة **نعيمة** إلى مستقبلها.

على الطرف الآخر من معبر **رفح**، يقطن **عبد الرحيم** أصغر أبنائها مع عائلته المكونة من زوجته واثني عشر من أبنائهما: أكبرهم عمره 31 عاما والأصغر 11 عاما. يقول **عبد الرحيم**: «**مضى وقت طويل، حاولت أن أساعد الوالدة أكثر من مرة لتعود إلى غزة، لكنني فشلت، أريدها معي ومع أحفادها. أشتاق إليها كثيرا. لم تكن معي في أفراح أولادي الذين تزوجوا. تمنيت لو كانت معنا، وهي في صحتها لتستمتع بأحفادها. أعرف أن الوقت متأخر، لكنني سأعتني بها من الآن فصاعدا**». وما إن لمح **عبد الرحيم** والدته حتى انهمرت دموعه: «**عندما بدأت حالتها الصحية تسوء أصبحت أتواصل معها بالهاتف، مرة واحدة كل أسبوعين، لأن هذه الاتصالات مكلفة جدا**».

هرع حفيدها إلى سيارة اللجنة الدولية، واحتضن جدته، هو ووالده، قبل أن يساعدا على إنزالها من السيارة والجلوس على كرسي متحرك للوصول إلى داخل المنزل.

لوحت الحاجة **نعيمة** بيدها. أضاء وجهها فرحا، عندما أصبحت في بيت نجلها.

بكلمات شكر دافئة مصحوبة بابتسامة عريضة ودعت موظفي اللجنة الدولية في **غزة**. أصبحت **نعيمة** بين أهلها الآن ■

* مسؤولة الإعلام والنشر في بعثة اللجنة الدولية بعمان

أبناء الحروب (الملف) . . .

لكل حرب ضحايا، لكن الأطفال هم الفئة الأكثر استضعافا بين ضحايا الحروب. تبقى الحرب عالقة في ذاكرة الأطفال، وتشكل جزءا كبيرا من وعيهم وسلوكهم، كما أنها قد تشكل مستقبلهم أيضا. في هذا الملف: أطفال عايشوا الحرب، وكانوا هدفا مباشرا لمعاناتها. وآخرون لم يروا حربا لكنهم لم يسلموا من آثارها المباشرة وغير المباشرة. كيف يرون الحرب؟ وكيف يتذكرون ظلالها وأشباحها؟

سمر القاضي*

عملية طويلة تحتاج إلى صبر وإصرار

كيف يُشفى الأطفال من صدمة الحرب وآثارها النفسية؟

تأثر أكثر من ثلاثة أجيال في لبنان بالحرب، بطريقة أو بأخرى، أثناء عقود من النزاعات المسلحة، الدولية وغير الدولية، التي ابتلي بها هذا البلد منذ العام 1975. وشهد كثير من اللبنانيين الحرب كأطفال ثم كناضجين. ومن المؤكد أن الأطفال أكثر تأثرا بالصدمات التي تسببها النزاعات، وربما حملوا أثرها معهم كبارا، لاسيما إن لم يتلقوا المساعدة والعلاج المناسب.

* مسؤولة الإعلام والنشر في بعثة اللجنة الدولية في بيروت

يتفق الأطباء والاختصاصيون النفسيون على أن معالجة الصدمات التي تسببها الحروب تكون أصعب لدى الأطفال، لأنهم لا يستطيعون التعبير عن أنفسهم بسهولة الكبار، ولا يمكنهم فهم المعنى أو المغزى وراء الفظائع التي يشهدونها. ولأن الأطفال المصابين بالصدمة لا يستطيعون التعبير عن مشاعرهم في كلمات، فهم يلجأون إلى طرق مختلفة للتعبير تتبدى في مسلكهم بشكل أساسي. فقد تظهر الأعراض في صورة حركة زائدة عن الحد، أو تصرفات عدوانية، أو عدم القدرة على التركيز، أو بكاء بلا مبرر، أو كبت تام وفقدان القدرة على الكلام. وتقول الاختصاصية النفسية الدكتورة **ميرنا غناجي**: «**تختلف مظاهر الصدمة بحسب شخصية الطفل، وعمره، ونوع الصدمة التي مر بها**». غير أن أكثر الأعراض شيوعا هو عجز الطفل عن الكلام عن الصدمة التي تعرض لها، حسبما تقول الدكتورة **غناجي** التي شاركت في معالجة الأطفال الناجين من «**مجزرة قانا**» التي وقعت في **جنوب لبنان** في العام 1996.

عملت **غناجي** مع الأطفال المصابين بصدمات سببتها الحرب من خلال جهة خاصة وهي «**مؤسسة حماية الأطفال المتضررين من الحرب**». أنشئت المؤسسة بعد وقوع المجزرة التي قتل فيها أكثر من مائة شخص من بينهم نساء وأطفال في غارة جوية إسرائيلية استهدفت قاعدة لقوة **الأمم المتحدة** المؤقتة في **لبنان**، كان مدنيون قد لجأوا إليها طلبا للحماية. عالجت المؤسسة نحو 40 طفلا، واتبعت من أجل هذا الغرض، كما تقول **غناجي**، استراتيجيات مختلفة للعلاج النفسي.

شكّل المعالجون ما أطلقوا عليه اسم «مجموعات التحدث»، حيث قُسِّم الأطفال إلى فرق من خمسة أو ستة أطفال، وطُلب منهم اختيار لعبة أو نشاط من بين أنشطة تضم الرسم والتلوين والتمثيل كوسائط لمساعدتهم على التعبير عن أنفسهم. ولم يكن من المستغرب أن جاءت معظم رسوماتهم تعبيرا عن مشاهد من الحرب بما فيها من قنابل وانفجارات وطائرات مقاتلة. تناول المعالجون ما أخرجه الأطفال على الورق وعملوا على أساسه، إلى أن أصبح الأطفال في النهاية قادرين على التحدث عن الصدمة التي مروا بها والتعبير عنها. «**إنها عملية طويلة وتحتاج إلى صبر وإصرار، واستغرق الأمر**

مظاهر الصدمة تختلف بحسب شخصية الطفل وعمره ونوع الصدمة التي مر بها

عاما كاملا لعدد كبير منهم حتى يستطيعوا استيعاب ما حدث لهم والتحدث عنه».

تعتمد الاستراتيجيات المتبعة في علاج الحالات التي تعاني من الصدمة نتيجة للحرب إلى حد بعيد على طبيعة الحالة نفسها. فالأطفال ليسوا سواء، ولم يمروا جميعهم بالصدمة ذاتها، كما تتفاوت درجة استجابة الأطفال للعلاج. لكن، تقول **غناجي** «**أصعب الحالات هي حالات الأطفال الذين كانت لديهم مشكلات نفسية قبل تعرضهم للصدمة المرتبطة بالحرب**».

ومن بين الحالات شديدة الصعوبة حالة صبي عمره عشر سنوات فَقَدَ كل أفراد أسرته وأصيب هو نفسه، كما يقول الدكتور **ربيع الشماعي** الطبيب النفسي الذي عمل مع الأطفال المصابين بصدمة في جنوب لبنان: «**عندما قابلت الصبي للمرة الأولى لم يكن قادرا على فعل أي شيء سوى الصراخ المتواصل. كان علينا العمل معه عن قرب وفي صبر لتمكينه من الاستيعاب التدريجي لما حدث له. وحينما أدرك وفهم الظروف المحزنة، بدأنا في معالجته من الاكتئاب الذي لازمه**».

إعادة التأهيل عند الأطفال عبارة عن عملية نفسية واجتماعية لأنه لا يمكن حلها بإعطائهم علاجا دوائيا. ويشترك الآباء والعائلة ككل في العلاج بشكل عميق لأنهم يمثلون صمام الأمان بالنسبة للأطفال. نظم المعالجون، بعد حرب العام 2006 في **لبنان**، ورش عمل لمعلمي المدارس الابتدائية وآباء وأمهات الأطفال المتضررين لإعطائهم إرشادات عامة عن أفضل الطرق لمساعدة أبنائهم على التغلب على الصدمة. يقول **ربيع الشماعي**: «**كان أول شيء قمنا به أننا طلبنا من الأهل عدم إخفاء الواقع أو تغييره بصرف النظر عن مدى صعوبته وألمه، وضرورة نقله بطريقة رقيقة دون صنع مأساة منه لأن الأطفال أذكياء كالكبار، ولكنهم يفهمون الأشياء ويستوعبونها بطريقة مختلفة، ومن المضر جدا لهم تحريف الوقائع التي سوف يفهمونها في النهاية بإيقاعهم الخاص**». ويضيف **الشماعي**: «**فبدلا من أن نقول للأطفال أن الانفجارات هي ألعاب نارية، على سبيل المثال، ينبغي إخبارهم أنها قنابل تسقط بعيدا عنا، وأننا، الأهل، موجودون لحمايتهم**»، وأوضح أن «**الأطفال يتضررون أكثر ويزيد شعورهم بعدم الأمان عندما يرون آباءهم خائفين ومضطربين**».

ولأن الأطفال يتسمون بالرقة وسرعة التأثر، فمن السهل عليهم الانزلاق إلى الصدمة مجددا إذا واجهتهم الظروف نفسها، كما يقول **الشماعي**، الذي يذكر حالة صبي آخر، كمثال على ذلك، عولج من صدمة نتيجة لحرب 2006، ثم عاوده المرض أثناء الحرب على **غزة** بعدها بعامين. يقول **الشماعي**: «**عادت الأعراض من جديد عندما رأى الصبي صورا من غزة على التليفزيون، رغم أن الأحداث لم تكن تجري في لبنان. كان علينا أن نريه على الخريطة أين تقع غزة وأنها بعيدة عن لبنان لنساعده على التخلص من الصدمة مرة ثانية**».

يتغلب معظم الأطفال على الصدمة إذا تلقوا العلاج الملائم، وإلا فإن ما مروا به في الطفولة قد يؤثر عليهم تأثيرا كبيرا في مراحل عمرهم التالية، وربما يصبحون أشخاصا متوترين وقلقين ومكتئبين.

إن الحصول على الرعاية الصحية النفسية له من الأهمية والخطورة، ما للحصول على الرعاية الصحية البدنية، لاسيما في البلدان التي مرت بنزاعات مسلحة استمرت لفترات طويلة من الزمن. وبالرغم مما شهده لبنان من أشكال مختلفة من الحروب بما فيها حرب أهلية استمرت 15 عاما، فإنه لا يزال يفتقر إلى مراكز متخصصة للصحة النفسية. لذلك، يشدد الدكتور **الشماعي** على أهمية «**وجود استراتيجية وطنية لكفالة الرعاية الصحية النفسية يمكنها توفير العلاج لجميع المحتاجين لهذه الرعاية**» ■

إعادة تأهيل الأطفال عملية نفسية واجتماعية
لأن العلاج الدوائي ليس حلا

ليال حورانيه*
فردوس العبادي**

3 صغار في الطريق إلى وطن بديل

خوف أكبر من الطفولة وذكريات أكبر من النسيان

أطفال صغار يتحدثون بلغة الشيوخ. تذهب نظراتهم إلى البعيد، وأنت تستمع إلى ما يروونه من حكايات بطلها الأوحد هو الموت. الموت، الذي خطف منهم أبًا أو أخًا أو أمًا أو أي قريب آخر، هو الظل الذي تلقيه كل كلمة من كلماتهم.

ذات صباح بغدادي لا يختلف كثيرًا عن سابقه، كنت على موعد للقاء **غسان**، ذي السبعة عشر عامًا برفقة شقيقيه، **غزوان** الذي لم يبلغ عامه السادس عشر بعد، و**سمر** ذات الإثني عشر عامًا. هؤلاء الإخوة الثلاثة، الصغار بالأعمار والكبار بالهم والألم، هم أبناء الزميلة **بان زكي**، التي تعمل في قسم الحسابات في المكتب الفرعي للبعثة في **بغداد**. **بان** التي قضى زوجها **صلاح** مع آخرين في حادث الاعتداء على «**كنيسة سيدة النجاة**» في **بغداد** أواخر العام 2010، هي نفسها اقتربت من الموت في الحادث نفسه، لكن الحياة ربما منحتها روحا جديدة من أجل أبنائها الثلاثة.

هنا تتحدث الطفولة بكلمات بريئة، تصف بعفوية إعصار ألم يختزنه القلب الصغير، الذي لم يكن يتوقع له أن يفتح أبوابه مبكرا جدا للحزن.

الطفولة تتحدث وتعلم الكبار حكمة الحزن الذي أدمنه العراقيون، على ما يبدو، فصار ظلهم أينما ارتحلوا. وبين السؤال والإجابة لا يضيع **غسان** بين الكلمات ولا تضيع منه، فهو يعرف ماذا يقول. وبين نظرة باتجاه زمن آمن مضى برفقة الأب الذي غاب، وزمن آت يستعدون فيه للرحيل عن الوطن إلى وطن بديل هو ألمانيا برفقة والدتهم، تجيء الكلمات بطعم الصور الجميلة التي ستتخلف وراءهم هنا في **بغداد** في أزقة الذكريات الحلوة، برغم مرارتها.

أسأله بكلمات من قلق على قلوب صغيرة بحجم حبات الندى عن حادث الكنيسة، وما قبله أو بعده، فيجيب **غسان** ببراءة طفل وحكمة شيخ: «**قبل الحادث الذي وقع في تشرين الأول/ أكتوبر من العام الماضي كانت لنا حياة أخرى. كنا نعتمد على أبي في كل شيء. كنت بعيدًا عن كل مسؤولية سوى المدرسة التي كان أبي يوصلنا، أنا وشقيقي، إليها كل صباح. كان خوفي أقل بكثير بالرغم من كل ما يواجهنا من أشياء، فهناك من نثق في أنه يدفع عنا الخطر، ويبعده. لكن كل شيء تغير الآن. بعد الحادث مباشرة لم أنم لليلتين متتاليتين. وحتى هذه اللحظة لم يغب مشهد الكنيسة وما جرى فيها عن مخيلتي كنا مع والدي حينها، ولكن...**» تتوقف الكلمات على شفتي **غسان**، وتذهب نظراته للتجول في زوايا البيت، الذي آن لهم أن يودعوه، لتنطلق الكلمات ثانية: «**أرى والدي في كل زوايا البيت. الذكريات صعبة. أراه أينما ذهبت هنا، وهناك وفي تلك الزاوية، في كل مكان. لا اعتقد أننا نستطيع العيش هنا بعد الآن. في ألمانيا سنرى ماذا ستكون عليه حياتنا هناك، يجب أن نجد بيتًا قريبًا من بيت أقاربنا هناك**».

«**وماذا ستفتقدون**»؟ أسأله، «**المدرسة والأصدقاء. حياتنا هنا، وكل شيء فيها. يمكن تعويض كل شيء هناك إلا مشاعرنا وذكرياتنا، ذكرى أبي التي سأحملها في قلبي**».

يتحدث **غسان** وينظر إلى شقيقيه، ثم يضيف: «**مسؤوليتي أكبر تجاه أسرتي الآن، لأنني الأكبر سنًا. مسؤوليتي صارت أكبر بكثير. وأخاف على شقيقتي الصغيرة. كبر خوفي لكنني أصبحت أكثر قوة**».

يشارك **غزوان** أخوه الأصغر في الحديث: «**أمي متعبة نفسيًا أكثر من تعبها الجسدي. وأي سبب بسيط قد يجعلها تنهار تمامًا. لم تعد تحتمل كل هذا الألم الذي أصابنا. نحاول**

ICRC

ألا نتذكر قصصنا مع والدي أمامها. ونحاول أن نبدو أقوياء جدًا من أجلها. واليوم ليس علينا إلا أن نكون أسرة أكثر تماسكًا من أجل حياتنا التي ستكون هناك في الوطن البديل».

هم يتذكرون حياتهم قبل العام 2003، تتعالى بعض الابتسامات على الوجوه: الوالد معهم في مدينة الملاهي؛ كرة القدم التي تتقافز بين أرجلهم الصغيرة، وهم يلعبون مع أطفال الحي والجيران؛ ورغم ما أتت به الأيام الأولى للحرب على **العراق**، فإن طمأنينة ما تطغى على الصغار، لأن حضن الوالدين كان وطنا آمنا بالنسبة لهم، مهما كان يجري خارج أسوار المنزل.

أما وهم ينظرون إلى الحياة التي تنتظرهم في بلد جديد، فالصورة بالنسبة لهم ليست ضبابية، بل فيها الكثير من الوضوح: بيت جديد، ومدرسة جديدة، وبداية جديدة هي الأخرى، بالرغم من أن أعينهم مازالت تبحث في خبايا المنزل عن كل شيء يعينهم على استمرار الذكرى حية. ويأتي الجواب قاطعًا من **غسان**: «**سأشتاق لوطني العراق. سأعود إليه ذات يوم عندما تكون الأمور فيه أحسن. والدي عاش، ومات، ودفن هنا، وكان يرفض أن نغادر إلى بلد آخر. كان متمسكًا بالعراق. أنا، وأشقائي، وكل أهلي، ولدنا هنا، وسنعود ذات يوم. وأصدقائي الذين تربطني بهم أخوة هنا، البيت، الشارع، المدرسة، بغداد. حياتنا كانت هنا. المكان يمكن تعويضه، ولكن ماذا عن الناس؟ هل نستطيع تعويضهم؟!**»

غزوان يأخذ زمام الحديث: «**أمي ستكون مطمئنة علينا هناك**».. أما **سمر** فتقول: «**لست سعيدة بسفري، هنا بلدي. بعد أن رحل والدي، وعندما كنت أسير في طريقي إلى المدرسة، وأرى رجلًا من بعيد يضع نظارة أتخيله والدي. وتأخذني إليه الذكريات عندما كان ينتظرني عند باب المدرسة ليقلني إلى البيت**».

ويقطع الحزن حديثها ليكمل **غسان** شريط ذكرياتهم مع أبيه، فطور الصباح الذي يعده، انتظارهم له في **ساحة الواثق** بعد المدرسة. موسيقاه التي يسمعهم ويعلمهم إياها من عوده أو غيتاره. تشجيعه **لغزوان** المولع برسم الطائرات، والطامح إلى أن يكون طيارًا يحلق في سماء وطنه، الذي أرغم على ترك طفولته معلقة على بابه، ذات صباح بغدادي لا يختلف كثيرًا عن سابقه ■

* مندوبة الإعلام في بعثة اللجنة الدولية في بغداد
** موظفة في قسم الإعلام في بعثة اللجنة الدولية في العراق

حتى لا يبقى طفل مثلي دون أب

ف.ع.

لم يكن **وقاص** قد أكمل عامه الخامس، عندما قضى والده **سعد** في حادث تفجير في العام 2008، تسبب في مقتله في الحال مع أكثر من أربعين شخصًا آخرين كانوا معه في الحافلة المتجهة إلى منطقة ربيعة شمال **العراق**.

بعد أشهر قلائل من الحادث حل العيد، والعيد بالنسبة لطفل جميل الملامح مثل **وقاص** هو ملابس جديدة، رفقة حلوة مع الوالد إلى مدينة الملاهي، عيدية تدسها الجدة الحنون في يده بعيدًا عن الأعين... لكن ذلك العيد لم يكن كسابقه، قال لي **وقاص** بكلمات تشبه ريش حمامة بيضاء. «**استيقظت مبكرًا صباحًا وذهبت مع أمي وجدتي إلى مقبرة المدينة لألقي التحية على أبي وأريه كم هي جميلة ملابس العيد التي سأرتديها.. أختي الصغيرة كانت هي الأخرى معنا وكانت تحمل ملابسها الملونة..**»

وبكلمات متناثرة تشعر بما تخفي وراءها من حزن يحمله على كاهله طفل بعمر الورد الذي تتراقص شجيراته الصغيرة في حديقة منزلهم، في إحدى مدن محافظة **صلاح الدين**، يقول **وقاص**: «**أشتاق إلى أبي كثيرًا، وأتذكره عندما كان يجلب لي ولشقيقتي الهدايا والحلوى**»... وتوافقه في الحديث شقيقته التي تكبره بعامين فقط بينما يذهب بصرها إلى صورة الوالد المعلقة على جدار صالة منزلهم فتقول: «**هذه هي صورة أبي**».. ثم تعاود الاستماع إلى كلمات أخيها، بينما راحت أناملها تلاعب الخصلات الذهبية التي تنسدل على جبهة شقيقهما الصغير **هشام** الذي ولد بعد وفاة أبيه بأشهر قلائل ولم تتسنَ له رؤيته أو الفرح بانضمامه كفرد جديد للأسرة الصغيرة..

وقاص يسكنه حلم طفولة صار يكبر معه منذ الآن وهو أن يكون طبيبًا جراحًا في المستقبل.. وعندما راح خياله يأخذه إلى حيث المستقبل الذي رسمه لنفسه كانت أنظاره تتوجه إلى الصورة المعلقة على الجدار.. خرجت الكلمات منه معللة السبب في الاختيار: «**أريد أن أعالج الجرحى والناس حتى لا يبقى طفل مثلي من دون أب**».

ثم يدفق من عينيه حزن وفرح في آن معًا.. حزن تؤججه الكلمات التي توقظها الذكرى التي تربط بينه وبينها، عدد قليل من سنوات مرت على غياب والده، وفرح بريء تؤججه الذكريات أيضًا لرفقة الوالد الغائب عنهم، بينما تدعمه كلمات شقيقته **ملاك** التي مازال في ذاكرتها متسع لصور جميلة كانت لأيام مضت برفقة من غاب عنهم.

سيظل الثلاثة عالقين في زمن يستعيدون فيه قصص الجدة التي ترويها لهم عن أبيهم بينما تخفي حزنها أمام ملامح بريئة تتطلع لوجهها الذي عليه ان يظل مبتسمًا رغم كل الأسى ■

ICRC

في بيتنا

عندما يتوقف الصراخ.. يبدأ الضحك الهستيري:

في النزاعات المسلحة، قد تفقد حياتك، وقد تفقد أموالك، وقد تفقد مستقبلك، لكن صاحب هذا المقال، المدوّن العراقي الذي فضّل ألا نذكر اسمه، فقد ماضيه. لم يسرق اللصوص أموال عائلته فحسب، بل سرقوا ذكريات العائلة أيضا. وهنا يتحدث عن تلك الليلة الفارقة في حياته.

مضى نحو شهرين منذ تحديث مدونتي هذه، ولدي أسباب حالت دون ذلك، أولها أن الكلية كانت مرهقة جدا، وثانيها أنني كنت، ومازلت، لا أحب الحديث عن هذا الفاصل من حياتي، عندما أحكي عن الماضي. واليوم، قررت الضغط على الزناد وبذل كل ما في وسعي لإعطاء كافة التفاصيل المؤلمة.

في 31 أيار/ مايو 2005، بدت الأمور عادية في المنزل، كان صوت مولد الكهرباء عاليا يهز الأركان، ووالدتي تطهو الطعام، ووالدي يُتابع الأخبار، وكنت أراجع دروسي استعدادا للامتحان. لم يكن يوما مختلفا عن غيره. وعندما انتصف الليل، أوينا جميعا إلى الفراش، وبقي هدير المولد على حاله، حتى لا تنقطع الكهرباء وتتوقف المراوح. وفي الثانية صباحا، عادت الكهرباء، وتبرع أحدنا بإطفاء المولد. أغلقت جفنيَّ ورحت في سبات عميق، وإذ بي أصحو على صراخ أمي.

قفزت بسرعة من فراشي إلى غرفتها المجاورة معتقدا (أو آملًا) أن يكون مجرد كابوس. لم تكد قدماي تطآن الأرض حتى أغرق الضوء غرفتي، ولمحت رجلا يقف عند بابها. تطلعت إليه بعينين مثقلتين من أثر النعاس، وعلت وجهي ابتسامة بلهاء، إذ ظننت أنه أخي فارس جاء لزيارتنا. وبالكاد، تبينت أنه ملثم ولفت نظري أن فوهة البندقية التي يحملها موجهة نحوي.

جاء صوته ليقول لي: «**تعال هنا، تعال هنا**». وما هي إلا لحظات حتى غابت ابتسامتي البلهاء، وتجمدت تعبيرات وجهي. قد يكون ذلك بسبب الصدمة. وما لبث أن قادني الملثم إلى غرفة أمي، حيث كان بانتظارنا ملثمان آخران يشهران السلاح في وجه أمي، التي كانت تجلس على الأرض بجوار الفراش. مزقوا بعض الأغطية لتقييد معاصمنا خلف الظهر، ثم جرونا إلى الطابق السفلي عند البهو الرئيسي للبيت. وعندها، استطعت أخيرا أن أحصي عددهم، فقد كانوا أربعة ملثمين مدججين بالسلاح.

أجبرونا على الركوع على السجادة لتبدأ عملية التهديد والوعيد.

حاولت أمي جاهدة أن تتحدث معهم، أن تهدئهم في محاولة يائسة لإنقاذ حياتنا، فما كان منهم إلا أن وضعوا قطعة قماش مبتلة في فمها لإسكاتها. حينها، بدأ الاحمرار يعرف طريقه إلى عينيّ لشدة الغضب، لكني لم

لصوص ملثمون

أستطع فعل شيء بعدما رأيت أحدهم يمسك سكينا من سكاكين مطبخنا. السكين التي اعتدنا استخدامها في تقطيع اللحوم والخضار أو البيتزا، باتت الآن على رقبة أمي، التي أخذت تسعل من الخوف، لكنها حاولت أن تتحكم في ذلك حتى لا تقتل نفسها. فقد جرحوا حنجرتها بالفعل أثناء التهديد.

بعد ذلك جعلوني أنهض وأجبروني على صعود الدرج الذي يفضي إلى الدور الأول. وهناك اقتادوني مرة أخرى إلى غرفة أمي وأجلسوني على الأرض بجوار السرير، ثانية.

«**أين المال؟ أجب، أين تخفون المال؟**»

ظننت أن بإمكاني – بما تبقى لي من فطنة – أن أجعلهم يذهبون بقليل من المال، وأوهمهم بأنهم حصلوا على المال كله، فقلت لهم إنه في غرفتي.

سحبوني إلى هناك، وهم يصرخون: «**أين؟ أرنا أين هو!**». أخذت مدخراتي بسرعة، وسلمتها لهم.

لكنهم قادوني مرة أخرى إلى غرفة أمي بعد أن استولوا عليها.

بعدها شعرت ببعض الهدوء الداخلي بالرغم من عجزي المستمر عن التفكير بطريقة أسرع. كان فكري يوشك أن يصيبه الشلل. ظننت أنه يمكنني أن أتنفس. إلى أن جاء السؤال التالي: «**أين الباقي؟**» نظرت إليهم قائلا: «**هذا كل ما لدينا**».

«**هل تقسم على ذلك؟**»

وأقسمت.

اقتلعوا أسلاك إحدى المراوح الكهربائية، فظننت أنهم سيستخدمونها لتقييد ساقيَّ أو شنقي بها. وعجز قصور عقلي البشري عن تخيل ما فعلوا بعد ذلك.

من وقت إلى آخر، كنت أصرخ: «**لاااااا**». وكان التيار الكهربائي، يزلزلني كأنهم وضعوني في ماكينة غسيل.

وأثناء صراخي، سمعتهم يزعقون في وجهي مطالبين بمعرفة مكان باقي الأموال والمجوهرات. وبعد أربع أو خمس صدمات، انهرت وأفصحت لهم عن مكان المجوهرات وكانت جميعها في كيس واحد، بدأوا إفراغه أمام عينيَّ، كل ما تملكه أمي من المجوهرات والحلي التي كانت تأمل منحها لابنتها وزوجات أبنائها. مجوهرات لا يمكن تصور قيمتها، وما تحمله من تاريخ وذكريات. وبعثروا ما تحتويه الأدراج والخزائن في الغرفة بحثا عن المزيد، ثم عرَّضوني لأربع صدمات كهربائية أخرى للتأكد من أنني لم أكن أخفي أي شيء آخر.

أخذوني إلى غرفة أبي، حيث أبقوه جالسا على السرير دون قيود نظرا لكبر سنه، وطلبوا مني الجلوس بجواره بعد أن عصبوا عينيّ بطريقة غير محكمة. ثم أخذوا يطلبون منه المزيد من المال، وهو يجيبهم بأنهم حصلوا على كل ما عنده بالفعل. وهذا يعتبر صحيحا نسبيا، فقد استولوا على حافظته، أما باقي المال فهو مودع في البنك. ولم نقل لهم ذلك، بالطبع، حتى لا يقرروا خطف أحدنا والمطالبة بفدية.

كان أحدهم يقف ممسكا حبلا. ورأيته يقفز على السرير، ويلفه حول عنق أبي، ويسحبه إلى الوراء، صارخا في وجهه ليمنحهم مزيدا من المال. ثم اتجه نحوي بعد أن ترك أبي ليلف الحبل حول رقبتي، ويسحبني إلى الوراء أيضا، صارخا بقوة أكبر، بينما يوجه الركلات إلى أبي في ظهره. الشيء الوحيد الذي تبادر إلى ذهني حينها أن ذلك لم يكن في الغالب إلا تمثيلا.

فالحبل لم يكن محكما ولم أشعر بالاختناق على الإطلاق. بدا الإحساس بالزمن كأنه توقف.

في نهاية المطاف، نقلونا جميعا إلى غرفة المعيشة، وهددونا بالقتل إذا تحركنا من أماكننا أو تفوهنا للشرطة بشيء عما حدث، ثم حبسونا. انهارت أمي على الأريكة وهي لا تزال مقيدة اليدين مثلي. الشخص الوحيد الذي تُرك دون وثاق كان أبي. مرت 10 دقائق ثقيلة ومؤلمة لم نسمع فيها أي صوت. التقطت بعدها خنجرا يستخدم على سبيل الزينة، لعلني أستطيع قطع قيودي، لكنني فشلت، ثم طلبت من أبي أن يحاول هو حتى نجح أخيرا، لكنني جُرحت عدة مرات. لم أكترث بذلك، وأسرعت على الفور لأحرر أمي التي انخرطت في بكاء شديد. كانت هناك زجاجة من المياه أعطيتها لها كي تشرب، ثم مررتها بعد ذلك لأبي. وبعدها حاولنا، نحن الاثنين، فتح الباب. حاولنا فتح القفل ولم نفلح ثم حاولت دفع الباب بكل قوتي لكسره لكنه استعصى، فحمدا للّه إذ يمكننا أن نفتخر بمهارة النجارين في **العراق**!

ذهبت إلى النافذة على الجانب الآخر من الغرفة. وفتحتها، واستخدمت الخنجر لقطع السلك الواقي من البعوض وقفزت إلى الخارج. كنت أنوي تحطيم نافذة أخرى للولوج إلى المنزل من جديد، لكنني وجدت الباب الذي خرجوا منه مفتوحا، فدخلت، وفتحت باب غرفة المعيشة. ثم خرجت ثانية، ولا أعرف إلى الآن كيف حملتني ساقاي حتى وصلت إلى الجيران، وطرقت الباب.

أخذت أركض فوق درجات السلم دون توقف. فلم تكن هناك نهاية. كأن السلالم كانت بلا نهاية وكنت أحجم عن الصراخ. كان ذلك عندما نظرت ورائي، وشعرت بأن شيئا يسير فوق ساقيَّ، ويلتف حول أصابع قدميَّ والكهرباء تصعقني بشكل مستمر. أخذت أصرخ دون توقف حتى بلغت أعلى الدرج، وعندما فتحت عيني صرخت قليلا. كنت أحلم فقط. وكان قد مضى حوالي ست ساعات على ما حدث لنا من سلب وتعذيب. وفيما كنت نائما في غرفة المعيشة، جاءت الشرطة وذهبت، كما جاء أخي سعيد، بعد أن تم الاتصال به. وقام الجيران بالاعتناء بنا، لاسيما بأمي.

اقترح أخي علينا أن نحاول الاسترخاء ومشاهدة التليفزيون بعض الشيء. ثم أمسك جهاز التحكم، وضغط على الزر الخاص بجهاز استقبال الأقمار الصناعية. وقف هناك لمدة دقيقة لكن شيئا لم يحدث، ثم التفت إلينا قائلا: «**أين الجهاز**»؟. عندها نظرنا مع أمي، وأبي إلى مكان الجهاز، فوجدناه اختفى. عندها، بدأنا نهتز جميعا، وتحول هذا الاهتزاز إلى سلسلة من الضحك المستمر، وسنعلم في المستقبل أن حالة الضحك هذه التي انتابتنا تسمى «الضحك الهستيري» ■

REUTERS

REUTERS

خبز مغموس بالخوف والزعتر

أطفال تحت القصف: كلّ شيء أحبّه راح

إيمان، إبراهيم، ومحمّد الراشد، ثلاثة إخوة فلسطينيين كانوا يعيشون في مخيّم نهر البارد (شمال لبنان) قبل أن تهجّرهم الحرب التي ضربت المخيّم في العام 2007. لا يزال الإخوة الثلاثة يحتفظون بذكريات أليمة عن تلك الفترة. لكنهم يحاولون التعايش مع واقعهم الجديد، بعيدًا عن بيتهم الذي دمر بالكامل. وهم لا يزالون مهجّرين في مخيم البداوي القريب من نهر البارد.

جيسي شاهين*

محمّد – 11 سنة: (كان عمره 7 سنين خلال الحرب):

"استيقظت على دوي أصوات الرصاص والقصف. خفت كثيرًا على أمّي وأبي وإخوتي. عندما صار القصف أقوى في اليوم التالي، تركنا المنزل وذهبنا إلى منزل جدّتي. أتذكر أنّنا دخلنا دارها ووجدنا ما يفوق الخمسين شخصًا مجتمعين في غرفة المنزل الأساسيّة. كان هناك ظلام كثيف.

كنت خائفًا جدًا من صوت القصف، وأراقب باستمرار وجه بتول، شقيقتي الصغرى. فهي كانت مريضة جدًا ولم يكن الطعام متوفّرًا لدينا. كانت أمي تطعمنا لفّات من الخبز والزعتر. بقينا 4 أيّام على هذه الحال، قبل أن نخرج من المخيّم. وعندما خرجنا، شعرت بالحزن الشديد لأنني كنت أترك كلّ الأشياء التي أحبّها ورائي".

إبراهيم– 13 عاما (كان عمره 9 سنين):

"صوت الصواريخ والرصاص. ذكّرتني هذه الأصوات بحرب تمّوز/يوليو 2006 ولكنّ الأصوات كانت أقرب هذه المرّة. أذكر منزل جدّتي المكتظّ بالجموع وصديقي العزيز الذي أصيب بالرصاص. كلما أراه الآن أتذكّر. "بشعة كثيرًا الحرب"... أصعب ما في الأمر أنّنا كنّا مجبرين على ترك أبي داخل المخيّم والخروج من دونه. فهو يعمل مع الهلال الأحمر الفلسطيني، وكان عليه البقاء مع الخدمات الطبيّة داخل المخيم.

لم يعد باستطاعتي النوم. رحت أتخيّل أنّ أبي سوف يبقى في الداخل. أتذكّر بيتي جيّدًا، "وحابب كتير إرجعلوا". أكره الحرب، ولا أريدها أن تتكرّر".

إيمان– 18 عاما (كان عمرها 14 سنة):

"سمعنا صوتا قويّا جدًا. قال لنا الجيران إنّها عمليّة إنزال إسرائيليّة. لكننا عرفنا أنّه كان نزاعا مسلّحا بين الجيش اللبناني وجماعة فتح الإسلام. لم يكن باستطاعتنا متابعة الأخبار بسبب انقطاع التيّار الكهربائي. كنّا مدركين خطورة الوضع نظرًا لكثافة القصف. كانت أختي الصغيرة بتول مريضة جدًا، ولو كنّا بقينا أكثر لكانت ماتت، لأنّ أمّي لم تكن قادرة على أن ترضعها. أتذكّر خالي وليد الذي دخل علينا وكنزته مدجّجة بالدماء. كان يصرخ بأعلى صوته ويطلب من والدتي أن تأخذنا وتهرب من المخيّم. لمّا اشتدّ القصف أكثر، فأكثر شرعت أبكي كالطفل، وقلت لوالدتي إنه انعدم لدينا كلّ أمل بالبقاء. كان وجود أبي بعيدًا عنّا يزيد خوفنا، وكنّا نحاول الاتصال به باستمرار. عندما قرّرنا مغادرة المخيّم كان علينا أن نسلك طريقا طويلة جدًا على الأقدام، لا يستطيع الإنسان العادي سلوكها دون التوقّف مرارًا وتكرارًا. لكنّ الخوف زوّدنا بقوّة غير عادية. وعبرنا، من خلال شوارع وأزقّة بالكاد أمكننا التعرّف عليها.

في تلك الفترة كان عليّ التقدّم لشهادة البريفيه (نهاية المرحلة الإعدادية) خلال أسبوعين من بدء الأحداث. وكنت قد تركت جميع كتبي ومراجعي في بيتنا في نهر البارد. لكنّني، رغم ذلك، وتحدّيًا للوضع الذي كنّا فيه، أتيت بكلّ الملخّصات والمراجع، وثابرت على الدراسة، ودموعي تبلّل الصفحات، فمصيرنا مجهول، وأبي بعيد، وبيتي تهدّم، لكن إرادة الحياة دفعتني إلى أن أكمل دراستي. انتهت الحرب بعد ما يفوق المئة يوم من القتال المستمرّ، لكنّني لم أفرح، فكلّ شيء أحبّه راح: بيتي، كتبي، ذكرياتي...كلّ شيء" ■

* مسؤولة في قسم الإعلام والنشر في بعثة اللجنة الدولية في بيروت

REUTERS

الحرب على البراءة

ليال حورانية*

تشكل مسألة تجنيد الأطفال باعث قلق كبير بالنسبة إلى اللجنة الدولية. ففي بعض مناطق النزاعات يتم اختطاف الأطفال وتحويلهم إلى آلات قتل ناهيك عن استغلالهم ببشاعة بما يخالف البروتوكول الاختياري لاتفاقية حقوق الطفل بشأن اشتراك الأطفال في النزاعات المسلحة.

هل هذا المكان موجود فعلا على وجه الأرض؟

* مندوبة الاعلام في اللجنة الدولية

** تم تغيير أسماء الأطفال لحمايتهم

ICRC

ديفيد: لم يكن مسموحًا لنا بالبكاء
أو الحديث عن أسرتنا وماضينا

في جنوب شرق جمهورية أفريقيا الوسطى تقع مدينة "**أبو**" عاصمة **هو-مبومو**، وهي واحدة من 14 مقاطعة في البلاد. و**أبو** مدينة صغيرة يسكنها حوالي عشرة آلاف نسمة، أكثر من نصفهم من النازحين.

ففي العام 2010 وصل إليها خمسة آلاف شخص، سيرا على الأقدام متحدين الطرق الترابية والغابات، بعد أن مضوا في رحلتهم الطويلة، حاملين أمتعتهم، وتاركين قراهم، هربا من تهديدات الجماعات المسلحة في المنطقة المجاورة؛ تهديدات باتت مألوفة بالنسبة لهم جميعا، حتى أن صور إحراق القرى بعد نهبها واغتصاب النساء وخطف الأطفال مازالت تلاحقهم.

يعيش الآلاف من النازحين في أكواخ داخل مستوطنات صغيرة في "**أبو**"، حيث يتجمعون حول الأخشاب المشتعلة للتدفئة. ومع عدم وجود الكهرباء، وتدني الخدمات الأساسية، يحاولون تلبية أبسط احتياجاتهم الإنسانية، عن طريق الصيد والحصاد، فضلا عن الاعتماد على المساعدات الإنسانية. وإذا كنت تعيش في **أبو**، فأنت تقريبا تعتمد بصورة كاملة على المساعدات الخارجية.

كان سكان **أبو** يعتمدون على الزراعة، لكن الأمر لم يعد كذلك، لاسيما بالنسبة للأشخاص الذين يقيمون في وسط المدينة بعيدا عن الأراضي الزراعية. انطلقت شائعات تفيد بأن الميليشيات المسلحة أصبحت على مشارف المدينة. وكان بعض النساء قد اختفى أثناء زراعتهن الأرض، وشاهد البعض الآخر بعيني رأسه الدمار الذي لحق بأراضيه الزراعية. هم جميعا على دراية كبيرة بما يمكن أن تقوم به الميليشيات من ممارسات. ولا يزالون في فترة الحداد بعد فقدهم لأحبائهم: فهناك أطفال ونساء في عداد المفقودين إثر الهجوم الذي تعرضت له المدينة مطلع العام 2010.

ظللت أتساءل: "**هل هذا المكان موجود بالفعل على وجه الأرض؟ كيف يمكن أن تكون مخاوفي وآمالي وحياتي وأحلامي، على بعد سنوات ضوئية من هؤلاء الأشخاص؟ هل نحن من نفس النوع؟**". ظللت أتساءل، غير مصدقة.

وخلال إحدى عمليات توزيع الأغذية التي تقوم بها **اللجنة الدولية** لصالح جميع المقيمين والنازحين في **أبو**، وتشمل توزيع الأغذية الأساسية، كالذرة والفول السوداني، إضافة إلى زيت الطعام والملح، التقينا بأطفال فروا من خاطفيهم، بعد سنوات مؤلمة قضوها في الأسر.

كانت وجوههم تكشف عن مشاعر هي مزيج من الخجل والخوف والشعور بالذنب والغضب الصامت. قال **ديفيد****: "**كان اسمي آلة القتل**"، وهو الاسم الذي أطلقته عليه جماعة المتمردين التي اختطفته من منزله. وكان عليه أن ينفذ أوامر بالقتل، في حين لم يكن عمره يتجاوز 14 سنة. يضيف: "**لم يكن مسموحا لنا بأن نتكلم عن أسرنا، أو أي شيء يتعلق بماضينا. وإذا ضبط أحدنا يتحدث عن ذكرياته، فإنه يتعرض للضرب المبرح**".

دام اختطاف **ديفيد** أكثر من سنة، بعد اقتياده بعيدا عن منزله خلال الغارة الأولى للمتمردين على **أبو**. ويتبع المتمردون أسلوبا خاصا، فهم يرتحلون من مكان إلى آخر ولا يستقرون في منطقة واحدة أبدا. يعيش المتمردون كالبدو، ويتنقلون في الغابات، ويقيمون خياما متجاورة للنوم بضع ليال فقط، ثم يعاودون التنقل، لينهبوا في طريقهم كل قرية يمرون عليها، بهدف تجديد مخزونهم، وتوفير جميع احتياجاتهم. وكانت مهام ديفيد الرئيسية هي رفع الأحمال الثقيلة، ونهب القرى أثناء الغارات الجديدة، وإقامة الخيام للقوات. وشاهد **ديفيد** العديد من أعمال العنف الشديد، التي كانت ترتكب يوميا ضد رفاقه من المختطفين مثله. ويتذكر بكل حزن ما شاهده من أساليب عقاب لأطفال من عمره إذا تناولوا الطعام قبل أن يؤذن لهم بذلك، ويقول إنهم "**كانوا يتعرضون للبتر والجلد والقتل. وفي كثير من الأحيان، كانوا يلجأون للعصي الخشبية لتحطيم**

ICRC

ماري: لا أستطيع النوم لأنني لا أعرف متى يعودون ليخطفوني مرة أخرى

الرؤوس عند تنفيذ الإعدام".

أما الأطفال الذين حاولوا الهرب، فقد كانوا يتعرضون للقتل على يد مختطفيهم أثناء هروبهم. وفي الليل، كان كل ثلاثة أو أربعة أطفال يوثقون معا تحت حراسة أحد الأشخاص حتى لا يهربوا. يقول **ديفيد**: "**في كل ليلة، كنت أتضرع إلى الله في صلاتي داعيا أن ينجيني من هذا الجحيم. كان علي أن أظل مفيدا وقويا بدنيا حتى يبقوا على حياتي، وكلما زادت الأحمال تمنيت أكثر أن تزداد قوتي مع مرور الأيام، لمجرد أن أكون مفيدا فيحافظوا على حياتي**".

ويضيف **ديفيد**: "**الشيء الوحيد الذي كان يجعلني أجهش بالبكاء هو رؤية أناس يموتون أمام عيني. لم يكونوا أصدقائي، فلم يكن مسموحا لنا بأن نكون صداقات. إلا أنني كنت أحزن بشدة عند رؤية عمليات القتل، وكان الأصعب هو إخفاء دموعي ليلا من المتمردين. فضعفي كان ثمنه حياتي**".

وتعرضت **ماري** للخطف في سن الحادية عشرة من منزلها في أبو. لكنها نجحت في الهرب بعد أن أمضت سنتين، تصفهما بأنهما "**سنتان من العذاب والألم**"، وعبرت الغابة سيرًا على الأقدام حتى وصلت إلى **أبو**. ولكونها أصغر فتاة في مجموعة المختطفين، قُدمت **ماري**، الفتاة العذراء، إلى قائد المتمردين كأسيرة حرب خلال الغارة الأخيرة. في البداية لم تكن قادرة على قبول استغلالها جنسيا من قبل القائد، ما عرضها لعقاب "**وحشي**"، إذ وقعت في براثن من هم أقل رتبة منه، ليتناوبوا اغتصابها على مدار ليال طويلة، لا تعرف **ماري** عددها، إلى أن امتثلت واقتيدت مرة أخرى إلى قائد الجماعة. وبعد حين احتفلوا بها، باعتبارها زوجة للقائد، واحدة من بين أخريات، بحسب روايتها.

التقينا **بماري** بعد مضي بضعة أسابيع على عودتها سالمة إلى منزلها. كانت مشاعر الخوف تسيطر عليها وأخذت تردد باستمرار: "**سيعودون لأخذي مرة أخرى. لا أستطيع النوم لأنني أريد معرفة متى سيأتون، حتى أستطيع أن أختبئ. سيعثرون عليّ، أعرف ذلك**".

تحدي القبول

ولا تنتهي رحلة العودة إلى المنزل بعودة الطفل بمفرده إلى بلدته بعد رحلة طويلة، فقبول المجتمع له يستغرق وقتا طويلا، رغم أن جميع أعضاء المجتمع يعلمون جيدا أن هؤلاء الأطفال أُجبروا على بعض الأفعال. فرمز البراءة والطهارة الذي كان، بات الآن موضع خوف وشك. بعض الفتيات عدن يحملن طفلا، جراء عمليات اغتصاب. والبعض الآخر عاد بعد تحطم كل آماله باستثناء الرغبة في استئناف حياته السابقة، بعد أن انتزعت منه بوحشية، وعاش كابوسا سلب منه براءته.

عودة هؤلاء الأطفال إلى حياتهم الطبيعية تتم ببطء، إذ عليهم إثبات أنهم ليسوا مصدرا للخوف، وأن بإمكانهم العودة لحياتهم الطبيعية، واستئناف دراستهم، والتردد على أماكن العبادة مع أسرهم، واللعب مع أصدقائهم، والتظاهر بأنهم لا يختلفون عن أقرانهم في شيء. لكن هل عادوا فعلا كما ذهبوا؟ ألم تنتزع منهم براءتهم؟ فهناك عبء ثقيل يقع على عاتق هؤلاء الأطفال المنهكين لإثبات حسن النية بعد الرحلة الطويلة التي قاموا بها من أجل العودة إلى مجتمعاتهم.

والأرجح أن معظمهم سيحتفظ لنفسه بما مر به من خبرة، لكن آخرين ربما يحكون لأصدقائهم ما حدث، دون تطرق للأمور السيئة والمؤلمة التي تخللت الأحداث "البشعة" التي وقعت لهم.

يشكل الأطفال العائدون إلى **أبو** بصيصا من الأمل لهؤلاء الذين لم يعودوا بعد إلى ديارهم، ويكتمون دموعهم ليلا، وهم يحلمون بالعودة إلى بلداتهم، وإلى أكواخهم الملتفة حول الخشب المشتعل طلبا للدفء، وإلى أحضان أمهاتهم وآبائهم وإلى بيئتهم الآمنة في قلب أفريقيا المنسية ■

جهاد بزي*

قريبة قرب رصاصة مرت بين رأسي ورأس أبي

صور الحرب.. ودروسها

لا أحتاج إلى جهد كي أتذكر حربًا ولدت قبلها بعامين، وانتهت قبل واحد وعشرين عامًا. لا أحتاج إلى جهد لتذكر تلك الصورة الأعتق عنها. هذه التي كونتها بعد أعوام على وقوعها، عبر الاستماع إليها، مرة بعد مرة، من أهلي، بعدما تركنا، أو بالأحرى فررنا، من البيت الذي جرت فيه القصة، البيت الذي يطل على سكة الحديد.

في الحكاية، كما رسمتها وحفظتها مخيلة الطفل الذي كنته، كان والدي يرفعني على حافة الشرفة، لأرى القطار عند مروره. لسبب ما، ملنا برأسينا نزولًا في اللحظة التي أطلق قناص النار علينا من بعيد. الرصاصة اصطدمت بالحائط وراءنا، لأنها لم تخترق الرأسين. هكذا، نجونا أنا وهو بمعجزة.

المشهد الثاني يختلط عليّ. ربما ما زال ماثلا حقًا في ذاكرتي، وربما هو مسموع. غير أنني أذكر عمي يمشي صوب أمي التي تحملني على ذراعها، وتقف، محاطة بإخوة أنا أصغرهم. أراه، بوجهه الأبيض المستدير وشاربيه الكثين، تماشيًا مع موضة السبعينيات، يمد ذراعيه نحوي ويحملني مبتسمًا. عمي الذي يصغر أبي بسنوات كان جارنا. وقرر النزوح، قبلنا، من المنطقة التي لم تعد ملائمة لأبناء ديننا. هذا نزوح حرب السنتين، كما سُميت سنتا النزاع، 1975 و1976، في حينها. كانت **بيروت** قسمين، وكان على اللبنانيين أن ينقسموا بينهما بحسب أديانهم، المسلمون لجهة والمسيحيون لجهة. القتل على الهوية، كان عقابًا محتملًا لمن لا يحتاط ويهرب. و«القتل على الهوية»، لمن يجهل هذا المصطلح، هو التصفية الجسدية بعد التأكد من أن الدين المعلن عنه في بطاقة الهوية، هو الدين الخصم.

هربت أمي بنا، أولادها الخمسة، وكان أبي حينها قد سافر للعمل في **الخليج**. تقول الحكاية إن عمي التقانا على الطريق صدفة، بعدما تقطعت سبل الاتصال بين المنطقتين. هذا سبب إضافي لدموعه حين حملني وقبّلني على خدي. أمي أيضًا، بكت حين رأته، هي التي تركت بيتها المؤثث بدون أن تخرج منه قشة، على ما رددت لأعوام. وكان أناس يدخلون إلى البيت ليحتلوه قبل غيرهم، من الهاربين من بيوتهم، في الضفة الأخرى من المدينة.

هذان مشهدان يعلوهما ضباب كثيف، وقد لاكتهما ذاكرتي خلال سنوات عمري كلها، ولم يبق شيء منهما على ما كان عليه فعلًا.

المشهد الثالث الذي يمكنني دائمًا أن أستعيده هو ذاك الذي سمعته، عن شقيقيّ المراهقين في حينها، اللذين اختطفا، وحشرا في غرفة صغيرة مع آخرين، وراح الملثمون يخرجونهم واحدا بعد الآخر ويعدمونهم، حتى إذا ما وصل الدور إلى صبيين، الأول في السادسة عشرة، والثاني أصغر منه بسنة، تعانقا مودعين، وخرجا من الغرفة المغلقة إلى حيث الإعدام المنتظر، لينقذهما، في اللحظة الأخيرة، ملثم مجهول رأف بحاليهما على الأرجح.

هذه الحكاية صاغتها مخيلتي مئات المرات، مرات ككوابيس، ومرات كقصص قصيرة، ومرات للمتعة فقط بتخيل المشاهد التي لم يكن فيها دم.

القصة التي لا صورة لها، هي التي وعيت عليها على هذه الشاكلة: عمي قتل على الهوية، ولا أحد يعرف أين هي جثته. أما عائلته فهاجرت كلها بعد مقتله إلى أميركا. بلى، هناك صورة واحدة ترتبط بها، هي صورة العم بالأبيض والأسود على الجدار في بيت جدي. انتبهت، لاحقًا، إلى أنه كان شابًا ووسيمًا في الصورة. طوال سنوات عمري كنت أنظر إليه في الصورة، بصفته المقتول على الهوية، الذي لا أحد يدري أين جثته.

* صحافي لبناني

ICRC

REUTERS

قبل أن أتم العاشرة، كنت رأيت صور جثث في مجزرة **صبرا** و**شاتيلا**. رأيت صورة أو صورتين على غلاف الصحيفة التي صرت بعد أعوام بعيدة، وما زلت، أحد صحافييها. كأنها صورة لتلة صغيرة من الجثث.

الشعور الذي عشته ذاك الصباح، أحرق في مكانه من الدماغ، أو من القلب، هو واحد من تلك المشاعر التي لن تزول أبدا.

نعيش معها، ولا نعرف ما الذي خرّبته فينا إلى الأبد. غير أنني، إذا تابعت على هذا المنوال من الذكريات، فالحبل سيطول، والنص الذي أكتبه هنا لن ينتهي، خاصة أنني عشت، بعد انتهاء الحرب الأهلية اللبنانية ثلاث حروب إسرائيلية على لبنان، كانت آخر واحدة منها، قبل خمسة أعوام، رعبًا بلا نهاية، للرجل الذي صرته، وقد أتى ابنه إلى العالم قبل خمسين يومًا من الحرب.

الحرب، متى وقعت، لا تنتهي، حتى ولو وضعت أوزارها. أنا الداخل في الحرب الأهلية بعمر عامين والخارج منها وقد بلغت السابعة عشرة، لست أدري أي ضرر دائم أحدثته لي هذه الأعوام الطويلة. أحيانًا لا أصدق أن عشرين سنة مرت على نهاية الحرب. أظنها ما زالت قريبة، قرب تلك الرصاصة التي مرت بيني وبين أبي، تجعل كل يوم بعد اصطدامها يومًا إضافيًا لم يكن متوقعًا لكلينا، كما أيام شقيقيّ الإضافية، وقد كانا محظوظين، بعكس عمي.

سيظل الخراب الذي حفرته الحرب الأهلية في داخلي دومًا. وستظل تلك الأعوام من طفولتي أكثر من طاقتي على فهمها. لا يعنيني كثيرا أنني تعلمت مساويئ الحرب، وأنني اكتشفت بعد طول تعب أن الآخر المقابل هو ليس إلا صورتي في المرآة. لا تعنيني الدروس التي تعلمنا إياها الحروب. أظل أقول، مستسلمًا، بأن الحروب لا تعلمنا شيئًا، وأن لا جمال يأتي من القبح، ولا ورود تزهر في دم مسفوك. وأن الدرس الوحيد الذي نتعلمه من الحروب هو أنها قدر لا فكاك منه، إلى أن نثبت يومًا، نحن البشر، أننا تخلصنا من هذه الآفة التي ليس مثلها آفة.

أظل أحلم لو أن تلك الرصاصة التي لم تصبني ووالدي، لم تطلق من الأساس. وأن شقيقيّ لم يخطفا ولم يطلقا، وأن مذبحة لم تقع. وأن طفلًا كبر بلا حرب أهلية ■

في أنني مطرود ولست لاجئا

سامر أبو هواش*

ما الذي تفكر فيه عندما تولد في أرض ليست أرضك، وتعيش في وطن ليس وطنك؟ كيف تتكون صورة الوطن الأصلي في وعيك؟ أي حنين يمكن أن يباغتك عندما ترث ذكريات بلا أرض، هي ليست ذكرياتك أنت؟ ما الوطن لديك؟ ما صورته؟ ما كنهه؟ وأي مستقبل تتخيله لنفسك في أرض لم تطأها قدماك مطلقا؟ هذه الشهادة تحاول الإجابة على تلك الأسئلة.

جمعني لقاء اجتماعي في مدينة **أبو ظبي**، حيث أعيش وأعمل منذ 8 سنوات، بخمسة أوروبيين من جنسيات مختلفة ممن يعملون في مجال النشر، وحين عرف هؤلاء أنني فلسطيني بدأوا يستذكرون تباعًا ذكرياتهم في فلسطين التي زارها بعضهم سائحًا، وعمل فيها بعضهم الآخر لمدة من الزمن. صدمتني مفارقة أنني، بين هؤلاء، الوحيد الذي لم يرَ فلسطين في حياته، وشعرت بشيء من الأسى إذ تلمّست في ردود أفعال هؤلاء العفوية حين صارحتهم بهذه الحقيقة، والتي تعاملت مع الأمر بوصفه شيئًا عاديًا بل بديهيًا، ما دمتُ بالنسبة إليهم "لاجئًا" عشت ونشأت في لبنان،

مما يضعني ضمن "فئة" مختلفة من الفلسطينيين؛ فهناك فلسطينيو "أراضي السلطة" وهناك "فلسطينيو غزة" وهناك "فلسطينيو الداخل"، أما "فلسطينيو الخارج" من أمثالي فإنهم يختزلون إلى ما يعرف سياسيًا وحتى قانونيًا بـ "ملف اللاجئين". تجد نفسك في مثل هذه الحالة مضطرًا إلى خوض نقاش لغوي اصطلاحي يميّز بين "اللجوء"، على الأقل كما يُروّج له، وبين "التشرد" أو "الطرد"، وهذه الأخيرة هي المفردة التي أوثرها شخصيًا على لفظ "اللجوء" الذي ينطوي على شيء من "الاختيار"، وإن جاء ذلك تحت ظروف ضاغطة قاهرة.

كلاجئ فلسطيني منذ أكثر من ستين عامًا، أي منذ ما قبل ولادتي بعقدين ونيف من الزمن، من البديهي أن أكون أكثر ارتباطًا من الناحية الإنسانية ببلد اللجوء، أي لبنان في حالتي، ففي هذا "الملاذ" ولدت ونشأت، وفي مدارسه تعلمت، وبين مدنه تنقلت، وأناسه صادقت وعاشرت... تبقى فلسطين فكرة للحنين أو نقاشًا سياسيًا يفتح من وقت لآخر، وفي أغلب الأحيان خارج منطق "العودة"، على الأقل بالمعنى الذي كنا نفهمه صغارًا - وأعني بمرحلة الطفولة هنا البراءة الجماعية والفردية في آن معًا، حين كانت قضية فلسطين ما زالت "ثورة" تجعل "الوطن" الفلسطيني على مرمى حجر منا. فلسطين في حال اللجوء تزداد بعدًا يومًا بعد يوم، مع تجذّر الأمر الواقع الذي بات أفقه بالنسبة إلى بعضهم لا يتجاوز فكرة "التسوية" أو "التعويضات" أو حتى "الاعتذار التاريخي" الذي يتضمن القبول بمعنى الملاذ/ الوطن البديل، لا الإقامة المؤقتة التي تعقبها "عودة" إلى أرض الآباء والأجداد.

أما "كمطرود فلسطيني" فإن الوطن - كما الملاذ - يتخذان معنى مختلفًا تمامًا، ومعه تختلف حكمًا النظرة إلى ما يسمّى الصراع الفلسطيني (أو العربي) الإسرائيلي، وأعترف أنني احتجت زمنًا طويلًا لكي أنحاز تمامًا إلى هذا التوصيف، بعيدًا من "كل قلوب الناس جنسيتي" التي لطالما تغنينا بها صغارًا، وبعيدًا من فكرة النضال لتحصيل "حقوق مدنية" في بلاد المنفى، رغم قناعتي التامة بأن فلسطين تصبح أقرب وأكثر احتمالًا، حين يحصل المطرودون على ظروف معيشية أفضل، إلا أن هذا لا ينبغي أن يكون منتهى أيّ نضال يتعلق بقضية المطرودين. الحلّ الوحيد بالنسبة إلى من يعتبر نفسه مطرودًا هو أن يعود إلى المكان الذي طرد منه، لا أن يتصالح مع المكان الذي طرد إليه، ما دام هذا الأخير ليس ملاذًا حقيقيًا ولا ملتجأ بل "ملجأ" على نحو ما نصف الملاجئ في أزمنة الحرب: تلك الأمكنة تحت الأرض التي نختبئ فيها تفاديًا للقصف، والتي نسارع إلى الخروج منها ما إن يتوقف القصف.

أطلت في شرح هذه النقطة فقط لكي أقول إن "الوطن" ليس فكرة ولا ينبغي أن يكون كذلك، ذلك أن الأفكار في حدّ ذاتها مغرية أحيانًا إلى درجة أن تكتسي بعدًا تجسيديًا ماديًا، فتصبح هي الملجأ والملتجأ والملاذ، تمامًا كتلك المفاتيح القديمة التي ما زال بعض المطرودين يحتفظون بها، دلالة رمزية على تلك العودة القريبة المرتجاة، في الوقت نفسه على "أثرية" هذه العودة واستحالتها. وهذا ليس بنابع بدوره من "فكرة" أو تأمل حول الوطن والمنفى وما إلى ذلك، بل هو واقع مُعاش. ولا يحتاج الأمر إلى كثير تحليل؛ حين تولد وتترعرع وتكبر في "لا وطن" تبدأ تتشكّل لديك بالفعل قناعة ما، قناعة مادية ملموسة عن ما هو الوطن. في حالة المطرود، مجددًا، الوطن هو المكان الذي طردت منه، وليس سواه، سواء أكان هذا "السواه" فكرة أو قصيدة أو أغنية أو تعاطفًا أو بلدًا بديلًا.

لقد تابعت، وأتابع، الثورات المتلاحقة بشعور مختلط من الفرحة والألم. الفرحة إذ أرى شعوبًا بدأت تتحرر، معيدة الصلاحية لكلمة "الثورة" في زمن الواقعية السياسية الذي بتنا ننظر فيه إلى كلمة "الثورة" ومفهومها كنوع من "الأنتيكا" البالية؛ والألم حين أرى ما آلت إليه "الثورة الفلسطينية" وذلك الأفق المسدود الذي تترنّح فيه، عاجزة حتى عن استعادة المضمون المعنوي والعاطفي لكلمة "ثورة".

لقد طلب مني أن أكتب هنا "شهادة" عن تجربة العيش خارج الوطن، بيد أنني - في خضم ما تشهده المنطقة من أحداث وملاحم تاريخية - أجد مثل هذه الشهادة - رغم ما يمكن أن تقدمه أيّ شهادة إنسانية من تبصّر واستبصار في أحوالنا الراهنة - أجدها إذن نوعًا من الترف أو على الأقل من التأمل الذي أحسب أننا كمطرودين فلسطينيين مارسناه كثيرًا على مدى العقود الماضية. فقدرة الشعوب في تونس ومصر، مثلا، على تقديم كل هذه التضحيات من أجل صنع حاضرها ومستقبلها و"وطنها"، يجب أن تعيد إلينا الأمل كمطرودين في استعادة حاضرنا ومستقبلنا، كما يجب أن تعيد إلينا الكلمة التي اشتقنا إليها كثيرًا، والتي أبعدتنا عنها ضروب الواقع وسياسات الواقع وبراثن الماضي القريب المثقل بالندوب: الثورة، التي تعني في حالنا شيئًا واحدًا: فلسطين ■

★ شاعر وصحافي ومترجم فلسطيني مقيم في أبو ظبي

> حين تولد وتكبر في «لا وطن» تتشكل لديك قناعة مادية عن «ما هو الوطن»

REUTERS

ياسر عبد العزيز*

الكاميرا ترصد:
أطفال الحرب.. و الحرب بالأطفال

قد يصبح الأطفال في أحيان كثيرة مادة للتداول الاعلامي بوصفهم ضحايا لحروب أو فاعلين في صراعات. فما هي الضوابط والأخلاقيات المهنية التي تحكم الإعلامي في تعاطيه مع الأطفال في هذه الحالات؟

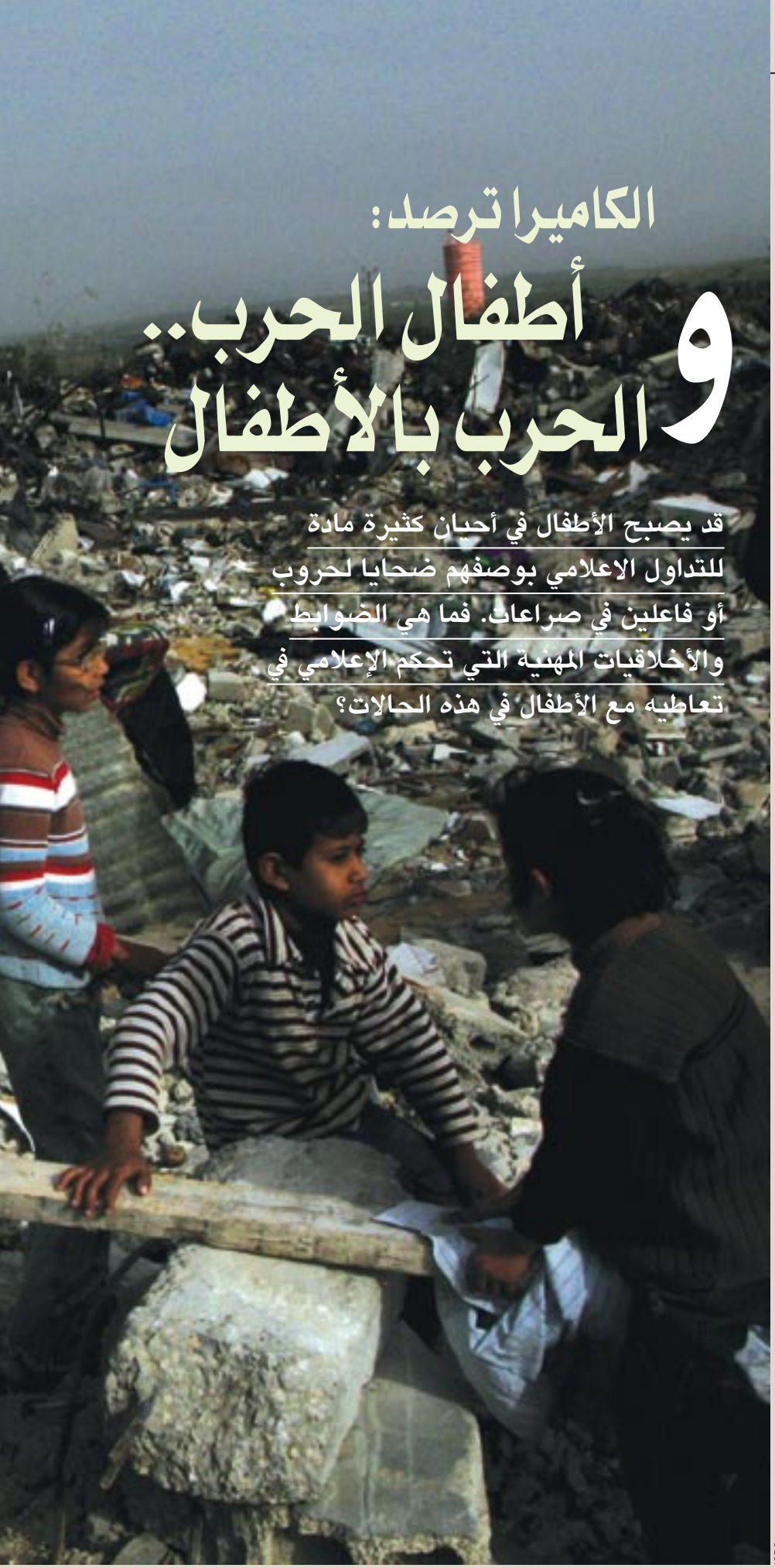

ICRC

هل تذكر **محمد الدرة**؟ في 30 أيلول/سبتمبر 2000، كان **محمد جمال الدرة**، الطفل الفلسطيني، متوجها مع أبيه إلى شارع **صلاح الدين** في منطقة تقع بين **نتساريم وغزة** في الأراضي الفلسطينية، حيث كانت القوات الإسرائيلية تتبادل إطلاق النار مع مسلحين فلسطينيين.

حاول الأب الاحتماء مع ابنه خلف برميل على جانب الطريق، كما سعى إلى إخبار مطلقي النيران من الإسرائيليين بضرورة التوقف، لكن إطلاق النار استمر، وأصاب الأب في مناطق متفرقة من جسده، وقُتل الطفل **محمد**، بعدما فشل أبوه في حماية جسده أو إقناع مطلقي النار بالتوقف.

لا شك أنك تتذكر **محمد الدرة** جيدًا؛ فقد كان مشهد إطلاق النار عليه وعلى والده مشهدًا حيًا نقلته كاميرا وكالة الأنباء الفرنسية إلى العالم أجمع. وجرت تحقيقات عديدة لمعرفة مصدر إطلاق النيران التي استهدفت الدرة الأب والابن، كما واجه المصور الذي سجل الحدث بكاميرته طوفانًا من الاتهامات من جهة والتكريم والجوائز من جهة أخرى، وتعرضت الوكالة الفرنسية لتهديدات، لكن التحقيقات أكدت أن مصدر النيران كان من الجانب الإسرائيلي.

ليست حادثة مقتل **الدرة** هي الأكثر دموية ومأساوية على أي حال بين الأحداث التي تقع للأطفال ضحايا النزاعات المسلحة، لكنها سجلت أثرًا فارقًا، وربما تكون استطاعت إحداث تغيير ملموس في الرأي العام العالمي حيال القضية الفلسطينية.

إنها براعة التقاط مشهد القتل، ونفاذ الإعلام وسطوته.

في 8 نيسان/ أبريل 1970، قصفت طائرات **الفانتوم** الإسرائيلية مدرسة ابتدائية مشتركة في

*خبير إعلامي مصري

قرية بحر البقر **بمحافظة الشرقية** بدلتا مصر، أثناء ما عُرف آنذاك «بحرب الاستنزاف»، التي اندلعت بين الدولتين في أعقاب حرب 1967. ونجم عن هذا القصف مقتل نحو 30 طفلًا مصريًا أثناء تلقيهم دروسهم في المدرسة، حيث غمر الدم الأحبار والدفاتر والملابس المدرسية وأجساد الضحايا.

وفي 18 نيسان/ أبريل 1996، قصفت القوات الإسرائيلية أيضًا مركزا تابعا لقوات **اليونيفل** في بلدة **قانا** جنوب **لبنان**، حيث قُتل 106 مدنيين من بينهم أطفال.

ورغم بشاعة الهجمات في **قانا** و**بحر البقر**، فإن مشهد قتل طفل بعينه، وتصوير لحظات القتل نفسها كما حدث مع **الدرة** كان له أثر أكبر وتداعيات أهم.

يظل مشهد قتل الأطفال أو الاعتداء عليهم في خضم نزاع مسلح علامة فارقة في التعاطي الإعلامي والمخيلة الإنسانية، وقد يكون تأثير مشهد واحد من ضمن تلك المشاهد أكبر أثرًا وأشد نفاذًا من عشرات المشاهد الأخرى.

ولذلك، فقد وردت تقارير تفيد أن انتقادات كثيرة استهدفت بعض وسائل الإعلام الأسبانية التي لجأت إلى استخدام صور من الاعتداءات الإسرائيلية على غزة في العام 2006، لتُضمنها تغطياتها لأحداث وقعت في مدينة **العيون** المغربية في تشرين الثاني/ نوفمبر 2010.

وكانت تلك الصور تستهدف إظهار أن تلك الاعتداءات طالت أطفالًا وعرضتهم للقتل والجرح. •••

ICRC

ICRC

ينشط الأطفال الجنود في نحو 60 دولة و 36 نقطة نزاع مسلح .. ويتوزعون بين جيوش حكومية وميليشيات وعصابات حرب

يظل الأطفال أضعف حلقة من حلقات النزاعات المسلحة حول العالم، ولذلك فإن تسليط أضواء الإعلام عليهم خلال تلك النزاعات، يسهم في إحداث تحولات نوعية في الرأي العام العالمي، وبالتالي يعيد ترتيب أوراق القوى المتنازعة ويغير حظوظها.

لا تقتصر الأثمان التي يدفعها الأطفال في النزاعات المسلحة على التعرض المباشر لآلات القتل والتشريد والتعذيب والاغتصاب، لكنهم أيضًا قد يستخدمون كفزاعات أو دروع بشرية أو برامج تسويق ودعاية وعلاقات عامة لأفكار بعض الجماعات المتنازعة، وأخيرًا فهم أيضًا يعانون كجمهور يتلقى بعض أكثر الأخبار والمشاهد دموية.

الضحية المقتول والضحية القاتل

تفيد تقارير **الأمم المتحدة** الموثقة أن نحو 2,5 مليون طفل قتلوا خلال العقد الأخير في نزاعات مسلحة، وأن 6,5 مليون طفل باتوا معاقين جسديًا جراء تلك النزاعات، فضلًا عن إصابة نحو 16 مليونًا بأمراض نفسية وعصبية.

وتتسق أرقام الأمم المتحدة مع تقديرات منظمة الصحة العالمية التي تفيد أن عدد الأطفال من ضحايا النزاعات التي ينتج عنها وفاة أو جرح يراوح ما بين 52 ألفًا إلى 184 ألف حالة سنويًا، وإلى أن ملايين الأطفال قد تم تشريدهم، فضلًا عن حرمان نحو 83 مليون طفل من التعليم جراء النزاعات المسلحة.

لكن ثمة جانبًا آخر للقضية؛ فالأطفال ليسوا ضحايا فقط عندما تُطلق عليهم النيران ويتلقون الانتهاكات مثل التشريد والضرب والإهانة والاغتصاب دائمًا، لكنهم ضحايا، أيضا، عندما يصبحون في موقع القاتل والمنتهك والمغتصب؛ إذ تقدر الأمم المتحدة عدد الأطفال الجنود في العالم بنحو 400 ألف جندي طفل.

ينشط الأطفال الجنود في نحو 50 دولة، و36

ICRC

ICRC

يستخدم بعض الناشطين والجماعات السياسية الأطفال لتعزيز مطالبهم فيرفعونهم للهتاف في التظاهرات

نقطة نزاع مسلح، ويتوزعون بين جيوش حكومية ومليشيات وعصابات حرب وتشكيلات شعبية وعرقية ودينية.

يمارس عدد كبير من هؤلاء الأطفال عمليات عسكرية ضد آخرين، ويحملون الأسلحة ويستخدمونها، وأحيانًا يدمنون القتل وسفك الدماء، ولذلك فإن قصتهم تشكل جدلا كبيرا في وسائل الإعلام.

ويتم استخدام الأطفال على نطاق واسع في عمليات عسكرية في دول عدة حول العالم، كما يتم توظيفهم في عمليات مثل نزع الألغام، كما يتعرضون للاستغلال الجنسي من المقاتلين.

وإضافة إلى مخاطر الموت والإصابة والإعاقة الجسدية والتشريد وفقدان الأهل، فإن مخاطر أخرى تظهر مثل الأمراض النفسية والعصبية الناجمة عن التعرض للعدوان أثناء النزاعات المسلحة، فضلًا عن المشكلات التي تترتب على ظاهرة الجنود الأطفال، الذين يتحولون إلى آلات قتل أحيانًا.

الأطفال ضحايا لمشاهد العنف وللاستخدام السياسي

يعاني الأطفال أيضًا من الاطلاع على أخبار ومشاهد استخدام العنف ضد أطفال آخرين. وتصيب المشاهدة المتكررة لأعمال القتل والقصف ضد المدنيين الكثير من الأطفال بأمراض ومشكلات مثل الخوف والرهبة والكوابيس والقلق والوساوس والتبول اللاإرادي والحرمان من النمو النفسي السليم، فضلًا عن الإغراء باستخدام العنف وتعريض أنفسهم وآخرين إلى الخطر.

كما يتم توظيف بعض الأطفال في عدد من النزاعات المسلحة، وأحيانًا الأحداث منخفضة الحدة أو الاحتجاجات والتظاهرات والثورات.

يستخدم بعض الناشطين والقوى والجماعات السياسية أطفالًا لتعزيز مواقفهم ومطالبهم السياسية، فيحملونهم للهتاف في التظاهرات، أو يلبسونهم ملابس تحمل شعارات سياسية، أو يستخدمونهم كدروع بشرية في بعض الأحيان، وفي شن هجمات انتحارية أو التلويح بها في أحيان أخرى.

وفي الأحداث التي شهدتها **مصر** اعتبارا من 25 كانون الثاني/ يناير 2011، لوحظ استخدام الأطفال على نطاق واسع في التظاهرات وحمل الشعارات والهتافات، وقد عرضت وسائل الإعلام المختلفة صورًا كثيرة لأطفال طالبوا برحيل الرئيس المصري السابق **حسني مبارك** أو هتفوا ضده، أو العكس.

قواعد أخلاقية ومعايير مهنية

يثور عدد من الأسئلة بخصوص حوادث مثل تلك السابق الإشارة إليها؛ منها: هل يمكن تصوير مشاهد قتل الأطفال واستهدافهم وبثها •••

ICRC

ICRC

لا يجب إضفاء صورة من الاستحسان على الأطفال المنخرطين في نزاعات مسلحة

خلال النزاعات المسلحة؟ وما الضوابط التي تحكم تصوير مثل تلك المشاهد ونقلها؟ وإلى أي حد يتصادم عرض مشاهد الأطفال الذين يتعرضون لانتهاكات مع الذوق السليم، وحقوقهم الشخصية، ومواقف آبائهم أو الأوصياء عليهم من السماح بعرض تلك المشاهد، وأخيرًا انعكاساتها على المشاهدين أو المتلقين؟

ثمة عدد من القواعد الأخلاقية والمعايير المهنية التي يجب الحرص على التزامها عند التصدي لتغطية أنباء وأحداث تتعلق بالأطفال ضحايا النزاعات المسلحة، وتم استقاء تلك المعايير من عدد من المصادر مثل أدلة الإرشادات التحريرية في وسائل الإعلام الكبرى، و**القانون الدولي الإنساني**، و**اتفاقية الأمم المتحدة لحقوق الطفل** وبروتوكولها الإضافي؛ ومن تلك المعايير والقواعد ما يلي:

– عدم الإفراط في عرض مشاهد الأطفال الذين يتعرضون للقتل والإصابة والانتهاكات أثناء تغطية النزاعات المسلحة، إلا إذا كان عرض تلك المشاهد ضرورة من ضرورات المصلحة العامة، أو ركنًا أساسيًا من أركان الإحاطة بالحقائق، أو وسيلة رئيسة لإنصاف أحد أطراف التغطية. وفي كل الأحوال لا يُحض على تكرار عرض تلك المشاهد خارج سياقها الإخباري، أو ضمن مقاطع الدعاية الترويجية، إلا إذا تم ذلك في سياق متوازن، وبهدف ينزع نحو المقاربة المحايدة.

– عدم «فبركة» المشاهد والصور، وضرورة الإشارة إلى تاريخ وقوع الحدث الذي تشير إليه المشاهد والصور في حال استخدامها كمواد أرشيفية، على أن تتوافر اعتبارات موضوعية للاستخدام الأرشيفي لمثل تلك المشاهد.

– لا يجب أن تنطوي المشاهد التي تعرض أطفالًا من ضحايا النزاعات المسلحة على ما يخدش الحياء العام والكرامة الإنسانية ويعرض خصوصية هؤلاء الأطفال وذويهم للانتهاك، وحتى في حال وافق الأوصياء على ظهور جثث أو أشلاء أو أبدان أطفالهم المعرضين للاعتداء بشكل قد يخدش الشعور العام والكرامة الإنسانية، فإن الوسيلة الإعلامية مدعوة إلى موازنة الاعتبارات الأخلاقية مع اعتبار المصلحة العامة وخدمة الحقيقة التي قد تظهر من خلال العرض الكامل للصور والمشاهد.

– مع الإقرار بأن صورة طفل في السابعة يقود تظاهرة، أو يحمل سلاحًا ناريًا ويمتطي آلية عسكرية، هي صورة مثيرة للاهتمام من الناحية المهنية، فإن الإعلاميين مدعوون إلى موازنة الاعتبارات الأخلاقية مع تلك المهنية، بحيث لا تتحول مثل تلك الصور عبر تكرار بثها والتركيز عليها إلى وسيلة لتحريض أطفال آخرين على الانخراط في النزاع، أو الترويج لموقف سياسي معين، أو التغطية على أحد أطراف النزاع. وفي كل الأحوال سيكون من المهم محاولة الحصول على إجابات من نوع: من الطفل؟ ولماذا انضم إلى ذلك الجانب أو ذاك؟ وهل سيسمح له ذووه فعلًا بالانخراط في القتال أو الاحتجاجات؟ وكيف يردون على الانتقادات التي تعتبر ذلك استخدامًا مسيئًا للأطفال وتوريطًا لهم في نزاعات ليس لديهم يد أو رأي فيها بحكم عدم وصولهم إلى سن النضج.

– يجب احترام رفض الأطفال الظهور أو الاشتراك في أي من التغطيات التي تجري على هامش النزاعات، حتى ولو كان ظهورهم ضروريًا لإنجاز التغطية.

– ضرورة الحصول على موافقة الوالدين أو الأوصياء قبل إشراك أطفالهم في التغطية.

– تجنب إغراء الأطفال على هامش النزاعات المسلحة بالاشتراك في التغطية مقابل دفع أموال، وفي حال كانت هناك ضرورة لدفع نفقات انتقال أو استضافة، فيجب أن تكون تلك النفقات ضمن الحيز المشروع والمنطقي، ولا تستخدم بغرض تعزيز الإقبال على الاشتراك في التغطية، بما قد يخلقه هذا من تورط البعض في ادعاءات بغرض الظهور وجني المال.

– لا يجب إضفاء أي صورة من صور التمجيد أو الاستحسان على الأطفال الذين ينخرطون في النزاعات المسلحة برضاهم، مثل إظهارهم كجنود شرفاء أو مضحين لمجرد أنهم اشتركوا في القتال، إلا في حال كان ذلك الاشتراك في معرض الدفاع عن النفس، وليس له أي طابع «ميليشياوي» أو هجومي.

– عند تغطية قصص ينخرط فيها أطفال خلال نزاعات مسلحة، يجب على الإعلاميين ووسائل الإعلام توخي الحذر لحماية أرواح هؤلاء الأطفال، وعدم تضمين التغطية أي معلومات محددة بشأنهم يمكن أن تسهم في تعريض سلامتهم للخطر، حتى في حال وافقوا هم أو ذووهم على الإدلاء بتلك المعلومات.

– في كل الأحوال يجب أن يُخطر الأطفال من ضحايا النزاعات المسلحة أو المنخرطين فيها وذووهم بـ «الناتج» الفعلي للتغطية التي سيشاركون فيها، وأن يدركوا طبيعة المطلوب منهم في إطار تلك التغطية وكيف سيظهر للجمهور.

– عند عرض المشاهد والقصص والصور الحادة التي ينخرط فيها أطفال في نزاعات مسلحة في أوقات عرض مفتوحة وغير مقننة، يجب تنبيه المشاهدين لانطوائها على مشاهد «**مزعجة وقد لا يتحملها البعض**»، كما يجب التأكيد على عدم تقليد الأطفال المشاهدين لما يجري في تلك المشاهد.

– عدد قليل جدًا من الاعتبارات الموضوعية يمكن أن يبرر إظهار لحظة موت طفل على شاشة أو صفحة جريدة، ولذلك فإن الإعلامي ووسيلة الإعلام يجب أن يتأكدا من أن ثمة اعتبارات مهنية مقنعة تبرر ظهور مثل تلك اللحظة ■

ICRC

السودان:
عودة الابنة المخطوفة إلى ذويها

عندما عاد المزارع "لوكا تاكيدو كوما" إلى منزله عام 2008، كانت مجموعة مسلحة تتحرك في المنطقة الحدودية الفاصلة بين جمهورية الكونغو الديمقراطية وجنوب السودان قد خطفت ابنته الصغرى "جاكلين". واليوم تعود "جاكلين" إليه بعد ما عرفت اللجنة الدولية بوجودها في جمهورية الكونغو الديمقراطية ونظمت عودتها إلى ديارها.

يدخل لوكا تاكيدو كوما البالغ من العمر 38 عامًا كوخه المبني بالطين ويعود حاملًا كيسًا بلاستيكيًا فيه فستان أزرق، وقميص وصندل أسود بدون كعب أي كل ما بقي له ليذكره بابنته المفقودة «جاكلين». لقد اختفت «**جاكلين**» قبل ثلاث سنوات حين دخل رجال مسلحون القرية قادمين من ضواحي «يامبيو» في ولاية غرب الاستوائية بالسودان، وخطفوا ابنته الصغرى.

ويقول "**لوكا**" بصوت هادئ: "**هرب كل أطفال القرية إلى الغابة. ونظم بعدها رجال القرية عملية بحث، وخرج في آخر الأمر الأطفال من مخابئهم وعادوا إلى منازلهم ولكن "جاكلين» لم تعد أبدًا**».

وتعيش المجتمعات المحلية في البلدات والقرى المتاخمة للحدود بين جنوب السودان وجمهورية الكونغو الديمقراطية في خوف دائم من تعرضها لهجوم. فالمجموعات المسلحة تقوم بالسلب والنهب •••

وتخطف الأطفال لتجندهم بالقوة في صفوفها.

ولم يكن «**لوكا**» وابنته الكبرى «**أغانيس**» يأملان رؤية «**جاكلين**» مرة أخرى. وكانت «**أغانيس**» آخر من رآها حية. وهي تقول الآن: «**كنا في المنزل نقوم بإعداد الطبخ. وكانت الساعة السادسة مساء حين بدأ الرجال الهجوم شارعين أسلحتهم. فصرخ الجميع ولاذوا بالفرار. وأدرت رأسي فرأيت جاكلين تتعثر وتسقط. وسريعًا ما أمسكوا بها وأخذوها إلى عمق الغابة. وشعرت عندها بعجز كامل**».

ساعي الأخبار الطيبة

في شهر تشرين الثاني/نوفمبر 2010، جاء «**ديدو لافوكليو باجي**» متطوع الهلال الأحمر السوداني الموكل بالبحث عن المفقودين بأخبار لم يكن أحد ينتظرها. فقد هربت «**جاكلين**» من خاطفيها وهي بخير وأمان في بلدة «**دنغو**» في جمهورية الكونغو الديمقراطية. وقد أعطت الصليب الأحمر في جمهورية الكونغو الديمقراطية اسم والديها واسم قريتها. وبعد يوم فقط من تسلم هذه المعلومات، كان «**ديدو**» قد عرف مكان إقامة «**لوكا**» وزوجته «**مبوسا**».

و«**ديدو**» اللاجئ من جمهورية الكونغو الديمقراطية يعرف تمامًا ألم الفراق. ويقول: «**إن المساعدة في لم شمل العائلات هو أجمل عمل في العالم**».

أحضر «**ديدو**» معه رسالة من رسائل الصليب الأحمر تقول فيها «**جاكلين**» كم هي شاكرة للّه أنها لا تزال على قيد الحياة. وقرأ «**لوكا**» الرسالة مرارًا وتكرارًا حتى تمزقت.

ولكن من المؤسف أن فرحته امتزجت بالحزن. فقد توفيت زوجته قبل أسبوعين وخلال 24 ساعة فقط بسبب إصابتها بالملاريا، هذا المرض الواسع الانتشار في جنوب السودان. واحتشد أفراد المجموعة وبنوا بلاطة إسمنتية كبيرة على قبرها في أرض بلا أشجار قرب القرية.

كلير دول*

> **لم أفقد يومًا الأمل في رؤية عائلتي مرة أخرى. وكل ما أريده هو العودة إلى المدرسة**

عودة مؤثرة إلى المنزل

ولأن الأسرة في فترة حداد، تجري الاستعدادات لعودة «**جاكلين**» بصمت. فقد ارتدى «**لوكا**» ثياب الحداد البيضاء وها هو في مدرج المطار الصغير في «**يامبيو**» ينتظر بقلق مع «**أغانيس**» أن تعود طائرة اللجنة الدولية بابنته من جمهورية الكونغو الديمقراطية.

وحين تظهر «**جاكلين**»، يطلق «**لوكا**» و«**أغانيس**» صرخة فرح، ويركضان نحو الطائرة ويسحبانها إلى الأرض. وتشهق العائلة بالبكاء حين يضم «**لوكا**» ابنته إلى صدره ويشد عليها كأنه لا يريد بعد اليوم أن يتركها تذهب.

ظن أنه لن يراها أبدًا مرة أخرى إذ هنالك العديد من الأطفال الذين خطفوا في المنطقة ولم يعودوا.

وبعد ثلاث سنوات من الغياب لم تعد «**جاكلين**» طفلة بل تحولت إلى امرأة عمرها 15 عامًا. إنها تبدو مضطربة وغير قادرة على إدراك أن محنتها في أيدي سجانيها الذين لا تعرف الرحمة قلوبهم قد انتهت أخيرًا.

وتقول: «**لم أفقد يومًا الأمل برؤية عائلتي مرة أخرى. كل ما أريده الآن هو العودة إلى المدرسة والبدء بالدراسة من جديد**».

ها هي تعود إلى القرية وتشتد حالة الانفعال. تبتسم للمرة الأولى حين ترى أصدقاءها. يقتربون ويرفعونها على أكتافهم ويحملونها إلى المنزل. ويبدأ أهل القرية بالغناء والرقص عندما يضع «**لوكا**» يده على رأسها ويحمد اللّه على عودتها.

لقد عانت «**جاكلين**» كثيرًا خلال سنوات غيابها ولكن فرحتها لن تكتمل فهي لا تعلم بعد بوفاة أمها ■

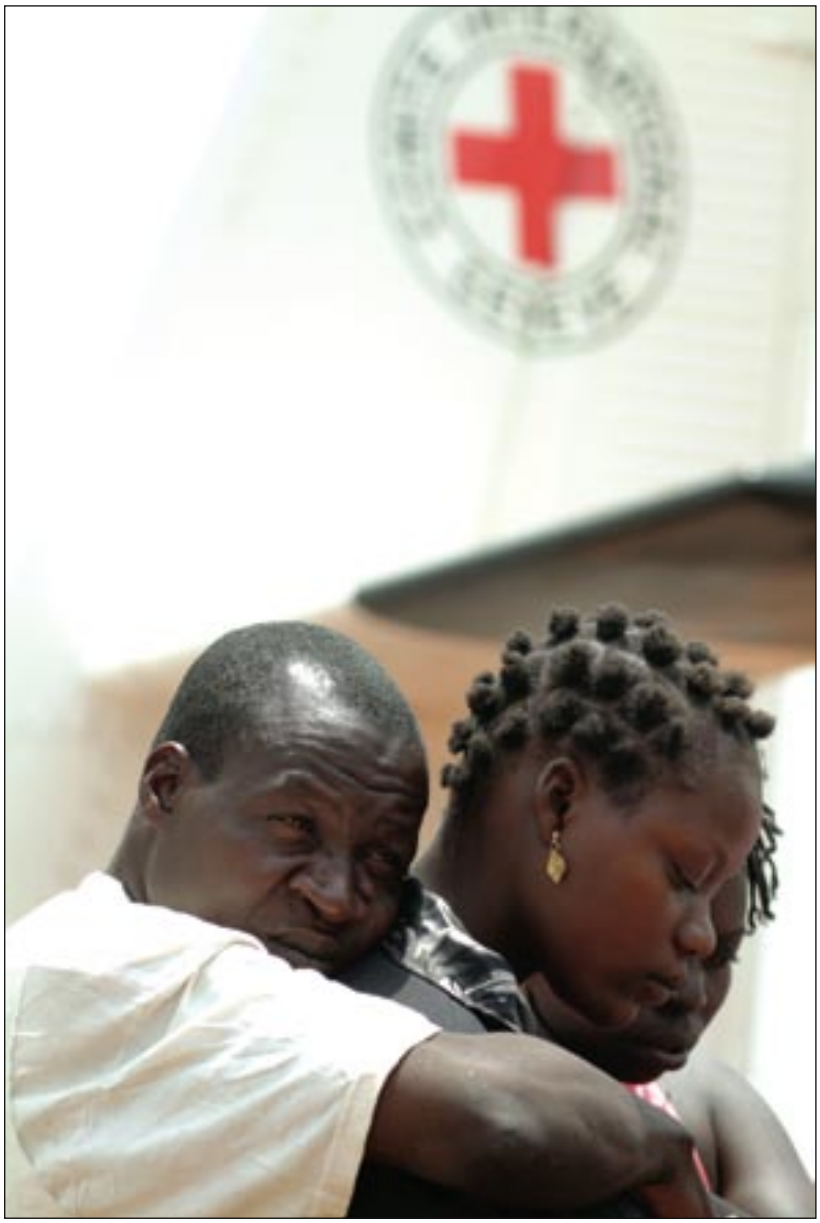

ICRC

* Claire Doole صحافية حرّة

سمية بلطيفة*

مخيم شوشة:
الحياة بين الانتظار والأمل

تشير التقديرات إلى أن عدد الأشخاص الذين عبروا الحدود إلى تونس فرارًا من أعمال العنف الدائرة في ليبيا قد تجاوز 250 ألف شخص منذ 20 شباط/فبراير. وظل كثير منهم عالقا في مخيم العبور في شوشة، وهو مخيم يقع على بعد سبعة كيلومترات من الحدود التونسية الليبية. ويحاول المقيمون في الخيام أن يعيشوا– ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا– حياة عادية على الرغم من الظروف الصعبة التي يمرون بها.

حيثما يوجد الماء

شهد **مخيم** شوشة في الأسابيع الأولى التي أعقبت توافد الموجات الأولى من النازحين الذين عبروا الحدود فرارًا من أعمال العنف الدائرة في **ليبيا** وفرة في كميات المياه المعدنية المعبأة في زجاجات. وكانت روح التضامن التي أبداها الشعب التونسي محل إعجاب واعتراف من ينتمون إلى جنسيات مختلفة والذين دخلوا إلى تونس عن طريق معبر **رأس جدير** الحدودي. وعلى الرغم من حركة التضامن هذه، فقد كان من الضروري على المدى الأطول إيجاد حل يكفل تلبية احتياجات هذه الفئة المحرومة التي لا يمتلك أفرادها إمكانيات تساعدهم على مغادرة الجنوب التونسي في أسرع وقت ممكن.

وتغير الوضع بعد اضطلاع مهندسي اللجنة الدولية بإقامة مراكز لتوزيع المياه في أماكن مختلفة من المخيم. فاغتنم الرجال الجو الحار السائد طيلة النهار للاستحمام في الهواء الطلق. وفي الصباح، تتجمع النساء لغسل الملابس بالقرب من أحد مراكز توزيع المياه، وفي يد كل واحدة منهن دلو وإناء للغسيل ومواد تنظيف وزعتها اللجنة الدولية. وهن يستخدمن الحبال التي تثبت بها الخيام لنشر الملابس، وتتحول أغصان الأشجار إلى وسيلة مؤقتة لنشرالثياب لتجفيفها.

وجبة ساخنة

ما إن جرى نصب الخيام الأولى حتى هبّ السكان المحليون في مبادرة عفوية منهم إلى توزيع الخبز وشطائر التونة وزجاجات الماء وغيرها من المؤن على النازحين.

واتصلت مجموعة من التونسيين الذين أرادوا المساعدة **بعبد السلام جنيسان**، وهو طباخ من مدينة **بن غردان** المجاورة. وطلبوا منه أن يتولى مسؤولية إعداد الطعام للذين يعيشون في المخيم. فاستجاب **عبد السلام** لطلبهم ،وانتقل إلى **شوشة** مصحوبًا بأدوات الطبخ وما تتضمنه من قدور وسكاكين طبخ ومواقد وقارورات غاز. ودعمت اللجنة الدولية جهوده فقدمت له مواد غذائية وأعانته على إعادة ترتيب مطبخه.

ويأتي **عبد السلام** منذ أواخر شهر شباط/فبراير إلى المخيم دون كلل. ويقضي اليوم كله في إعداد الطعام برفقة مساعديه ومجموعة المتطوعين الذين جاؤوا من الهلال الأحمر التونسي. ويضطلع كل فرد منهم بمهمة محددة، فمنهم من يقطع الخضروات، ومنهم من ينظفها، ومنهم من يشرف على عملية الطهي أو توزيع الوجبات اليومية. وحينما يطلب شخص ما إلى رئيس الطباخين: «**ماذا أعددت لنا اليوم؟ كسكسا أم أرزا؟**»، فإنه يجيب على الفور والبسمة العريضة تعلو محياه: «**أعددت الاثنين**». وما إن علم بأن البنغاليين، وهم الذين كانوا يشكلون في فترة معينة أغلب المقيمين بالمخيم، لا يتناولون من الأطباق إلاّ الأرز حتى بادر إلى تنظيم الوضع من جديد، فعين أحد البنغاليين مساعدًا له حتى تتاح الكميات الكافية من هذا الطعام في كل وجبة.

ولقي مطبخ **عبد السلام** نجاحًا منقطع النظير، ففي مخيم **شوشة**، لا شيء يعادل الحصول على وجبة ساخنة تذكر المرء بأجواء بيته ■

ICRC

* مسؤولة الإعلام والنشر في بعثة اللجنة الدولية في تونس

قندهار: يوم في حياة ممرض أطفال

عملت لما يزيد على الشهرين بصفة يومية في جناح الأطفال في مستشفى **مرويس في قندهار**– جنوب أفغانستان. كانت مهمتي الرئيسية هي العمل مع المرضين المحليين في قسم الأطفال، ونقل خبرتي لهم في هذا المجال، ومساعدتهم في حالات الطوارئ، ودعم رئيسة المرضين، الأخت علياء، في إدارة عيادة الأطفال من الناحية التمريضية.

رأينا، للأسف، حالات كثيرة طارئة من المرضى الصغار، فمستشفى **مرويس** هو الوحيد الموجود في دائرة يبلغ نصف قطرها عدة مئات من الكيلومترات، ويُقدِم العلاج مجانا، ويساعد الجميع بالقدر المطلوب.

نرى كل يوم أطفالا يعانون سوء التغذية، أو مصابين بأمراض معدية كان يمكن تجنبها بالتلقيح، وأطفالا يعانون أمراضا مزمنة تحتاج إلى علاج منتظم، أو يعانون من الإسهال بسبب عدم توفر مياه نقية في أغلب الأحيان. ويرجع ذلك كله إلى الافتقار إلى البنية الأساسية الصحية وعدم إمكانية الوصول إلى المستشفيات والأطباء.

يبدأ يوم العمل في الثامنة إلا الربع صباحا، بالتحرك بالسيارات إلى المستشفى الذي لا يبعد عن مساكننا سوى 500 متر، معنا كل فريق **اللجنة الدولية** من الأطباء والممرضين ومقدمي الرعاية ومن يطلق عليهم وصف «مسؤولين ميدانيين»، إضافة إلى المترجمين، وجميعهم ممرضون أو قابلات، وهم بذلك يقومون بدور أكثر من الترجمة.

في هذا الصباح، بينما كنت والسيدة **بريتا**، طبيبة الأطفال الدانمركية، في ردهة المستشفى، حيّانا رجلان، وأصدرا إشارات بأيديهما يُفهم منها أنه يجب علينا الذهاب إلى وحدة الرعاية الفائقة.

يعقوب

كان **عيسى محمد** و**عمر شاه**، ممرضا الدوام الليلي في قسم الأطفال، مع الدكتور **أمان الله**، يقدمان العلاج للطفل **يعقوب**، الذي أحضرته أسرته كلها لتوها.

كانت حالة الطفل ذي الثلاث سنوات، بالغة الخطورة، إذ كان يعاني من التهاب رئوي منذ أكثر من ثمانية أيام. شخَّص الزملاء حالته كصدمة إنتانية، وكانوا يستعدون لإعطائه سوائل في الوريد، ويجهزون المضادات الحيوية العاجلة. كان تنفسه سريعا جدا، لذلك قررنا إعطاءه أوكسجين للمساعدة في إراحة التنفس. قضى خمسة منا نحو ثلاثين دقيقة في إعطائه العلاج الأولي، وسحب عينات من الدم لفحصها في المختبر، ثم أعطيناه أيضا نحو نصف لتر من المحلول الملحي. استقر تنفسه ونبضه وضغط الدم لديه بدرجة ما. وبدأت عائلته تشعر بالارتياح قليلا بعد الرحلة الطويلة الشاقة التي قطعتها وكلها قلق على أول أبنائها.

في أثناء ذلك، وصل زملائي في دوام النهار، وهم ثمانية ممرضين للأطفال، من **قندهار** والمناطق المجاورة لها. كانت رئيسة المرضين السيدة **علياء** هي المرأة الوحيدة في القسم، وكنا نقوم معا بجولة كل صباح لرؤية المرضى والتحدث إلى أسرهم. كان هناك 85 مريضا في هذا اليوم، وكنا نعرف معظمهم من اليوم السابق. وعرفنا أنه بالإضافة إلى **يعقوب**، أُدخل أربعة أطفال جدد إلى المستشفى خلال الليل.

روشانا

بعد جولتنا الصباحية، ذهبنا إلى مكتب السيدة **علياء** لمناقشة مهام اليوم، وفور وصولنا، طلبتني القابلة الكينية السيدة **فايث** عن طريق الراديو للحضور إلى غرفة الولادة لمساعدة مولودة جديدة.

كانت الطفلة الوليدة **روشانا** تعاني من مشكلات في التنفس والدورة الدموية بسبب طول الوقت الذي استغرقته عملية الولادة وعدم سهولتها. كان لابد من إجراء التنفس والتنبيه فورا، وبعد مرور أول عشر دقائق من حياة الوليدة، تلك الدقائق التي عملنا فيها أنا و**فايث** على استقرار تنفسها وتدفئتها، قررنا نقلها إلى جناح الأطفال ووضعها في حضَّانة. كان **شمس الله**، الممرض المسئول عن حديثي الولادة، قد أعد الحضَّانة بالأوكسجين والسوائل الوريدية اللازمة، رغم انشغاله بتسجيل العلامات الحيوية وإعطاء العلاج للأطفال السبعة حديثي الولادة والمبتسرين الآخرين في الغرفة.

عدنا إلى مكتب السيدة **علياء**، ورتبنا للدورة التدريبية، التي كان مقررا إقامتها في هذا اليوم. كان الممرضون قد طلبوا تعلم المزيد عن الطرق الآمنة لأخذ عينات الدم لعمل مزرعة. ولم يكن أمامنا سوى قليل من الوقت للتحدث عن واحد أو أكثر من المرضى، ومناقشة أفكار جديدة. تحسنت حالتا **يعقوب** و**روشانا** بشكل ملحوظ.

التدريب

في وقت الغداء، التقينا كلنا، أخيرا، بشأن الدورة التدريبية المزمع عقدها. ناقشنا العمل معا خطوة خطوة، وشارك الممرضون ذوو الخبرة معارفهم مع الآخرين، وبعد التدريب كان قد حان الوقت، كالعادة، للغداء، وأيضا للصلاة بالنسبة لزملائي الأفغان.

عادة تكون الأمور أكثر هدوءا في عيادة الأطفال

ICRC

كريستيان شوه*

ICRC

يروي كريستيان شوه يوما من حياته كممرض يعمل مع اللجنة الدولية في قسم الأطفال في مستشفى مرويس بقندهار.

Christian Schuh *

في فترة الظهيرة، وكان الأمر كذلك في ذلك اليوم. جميع مرضى الحالات الطارئة التي وصلت خلال الليل أو على مدار النهار، قُدم لها الطعام وجرى فحصها، وأُعطيت العلاج.

ثلاثة شبان

وصلت إلى المستشفى، عصرا، جثث ثلاثة شبان بصحبة أقاربهم. تعرضوا للقتل بإطلاق رصاص عليهم من مسافة قريبة. أحدهم قُتِل في دورة مياه عامة في المدينة، ولم أعرف ما حدث للآخرين. جاء فتى آخر في سيارة أجرة مع جده. أطلقت النار على ساقه، ووصل إلى المستشفى عن طريق شبكة سيارات الأجرة التي تدعمها **اللجنة الدولية**.فبسبب انعدام الأمن، ولعدم وجود نظام سيارات للإسعاف يعمل خارج المدينة، لجأنا إلى حلول مبتكرة لإحضار المرضى إلينا.

وقد يكون المريض محاربا أو مدنيا وُجِد في المكان الخطأ في الوقت الخطأ، وهم سواء بالنسبة للعاملين الطبيين، فكلاهما يحتاج إلى العلاج.

خديجة

من بين المريضات، كانت **خديجة** ذات الأعوام السبعة التي عرفتها منذ أسبوعين. كانت تعاني من التهاب السحايا والسل، وكانت حياتها في خطر. تحسنت حالتها بسرعة في بداية الأمر، ثم تبين أن الشفاء سوف يستغرق وقتا طويلا. ورغم احتفاظها بوعيها إلا أن أمورا طبيعية كالتحدث والجلوس واللعب كانت صعبة بالنسبة لها.

ظللت أنا والممرض **زين الله** لعدة أيام نحاول كلما سنحت لنا الفرصة تشجيعها على الكلام قليلا. في هذا اليوم استطعنا الحصول منها على جملة كاملة، بالإضافة إلى الابتسامة التي سرعان ما اعتدنا عليها. أسعدنا ذلك جدا. عرض **زين الله** أيضا دعوة أخصائيي العلاج الطبيعي لمساعدة **خديجة** لكي تتقدم أسرع. كانت فكرة رائعة ناقشها فورا مع الطبيب المعالج.

يوم جميل

حين يسألني شخص كيف يختلف العمل في **قندهار** عن حياتي اليومية في بلدي الأصلي ألمانيا، يكون من الصعب عليّ الإجابة عن ذلك. كل يوم هنا تقريبا يكون أقل راحة بكثير عما هو عليه الأمر في بلدي، ولكن هنا تحصل على رد فعل مباشر من الزملاء والأهل والمرضى. مثلما حدث على سبيل المثال بعد التحسن الكبير الذي حدث في حالة **يعقوب** هذا الصباح.

ولكن للأسف، لم يكن كل الأطفال محظوظين هكذا في **قندهار**، رغم ما يقوم به المرضون والأطباء الأفغان يوميا من مجهود لا يتصوره عقل.

تقابل الفريق في نهاية اليوم بالقرب من مكان انتظار السيارات للعودة مسافة 400 متر عبر شارع المدينة المترب لنصل إلى التجمع السكني الذي نقيم فيه. كان أغلب الحديث في السيارة عن القتال الذي وقع في اليوم السابق. كما تعودنا في أعقاب أي هجوم بالقنابل. عملت مولدات الكهرباء على نحو جيد، ونجت **روشانا** من الموت، وأحرزت **خديجة** تقدما. ربما يفقد الشاب المصاب برصاصة ساقه، وأطباؤنا يأملون خيرا بالنسبة للصغير **يعقوب**.

قال زملائي: «**إذا أخذنا الأمور بمجملها، يمكننا القول إنه كان يوما طيبا**» ■

نرى كل يوم أطفالًا يعانون من سوء التغذية أو مصابين بأمراض معدية كان يمكن تجنبها بالتلقيح

ميدان التحرير:

قرص الشمس الذي أشعل الثورة

REUTERS

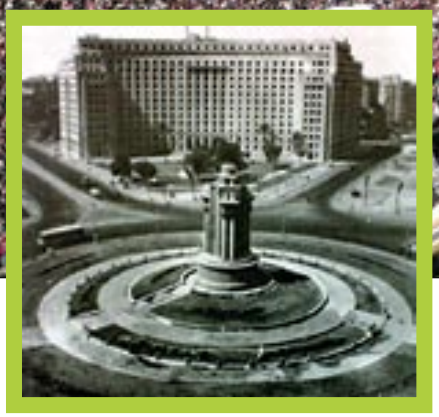

الميدان أثناء الثورة..
وفي أربعينيات القرن الماضي

عندما تنظر من أعلى إلى ميدان التحرير في قلب العاصمة المصرية القاهرة، يمكنك أن تتخيل أنه قرص شمس، وأن الشوارع العديدة التي تفرعت منه، هي أشعة الشمس، التي تقول أساطير فرعونية إنها أيدي الإله آمون. من هنا، من هذه الشمس بدأت الثورة المصرية.

قبل ثورة 25 يناير 2011، كان **ميدان التحرير** من أكبر ميادين **القاهرة**، إلا أنه لم يكن أهمها على الإطلاق، إذ يسبقه **ميدان رمسيس** من حيث الأهمية لوجود محطة قطارات مصر فيه، وكذلك لوجود مواقف انتظار سيارات الأجرة التي تنقل الركاب بين المحافظات، ولتفرع وسائل المواصلات منه. ثم يأتي **ميدان العتبة** تاليًا في الأهمية، لكونه المركز التجاري الأول في **القاهرة**. وجعلت الثورة المصرية من **التحرير** واحدا من أهم ميادين العالم، ورمزا للحرية، خاصة بعد أن قررت عدة دول تغيير أسماء ميادين فيها إلى **ميدان التحرير**، ومنها **ميدان نانتس**، أحد الميادين الكبرى في **باريس**. وأعرب عدد كبير من المسؤولين الأجانب عن رغبتهم في زيارة الميدان، فزاره فعلًا وزير الخارجية الألماني **جيدو فيستر فيله**، منتصف شباط/ فبراير الماضي، وقال إنه يعتقد أن «**أي شخص يزور الميدان ستسري في جسده رجفة**». وزيرة الخارجية الأمريكية **هيلاري كلينتون** زارت الميدان أيضًا في 15 آذار/ مارس، في أول زيارة لها إلى **مصر** ما بعد الثورة. وقبل أدائه اليمين الدستورية، وقف رئيس الوزارة **عصام شرف** في الميدان، وقال، في كلمة تاريخية ألقاها بين المتظاهرين، إن ميدان التحرير هو مصدر شرعيته. كما اقترح حقوقيون أداء الرئيس الجديد اليمين الدستورية أمام المواطنين مباشرة في الميدان لمواكبة الحركة الشبابية الثورية.

شبيه الشانزلزيه

سُمي الميدان عند إنشائه باسم **ميدان الإسماعيلية**، نسبة للخديو **إسماعيل** الذي كان مغرما بالعاصمة الفرنسية باريس وبميدانها الشهير: **الشانزلزيه**. ويحاكي الميدان في تصميمه **ميدان شارل ديجول** الذي يضم قوس النصر في **باريس**. وصُمم ميدان التحرير على مساحة نصف قطرها حوالي 450 مترا، أي أن مساحته 660 ألف متر مربع، وكان ذلك قبل بناء **مجمع التحرير** في عهد **الملك فاروق**،

مكاوي سعيد*

واستقطاع **شارع الشيخ ريحان** منه، لتبلغ مساحته الآن حوالي 440 ألف متر مربع.

والميدان، منذ إنشائه، ساحة للحركات الوطنية. وكان مركزا للتظاهر ضد الاحتلال البريطاني، خاصة أن معسكرات الجيش البريطاني المعروفة بثكنات **قصر النيل** كانت متربعة في الميدان (مكان **فندق هيلتون** ومبنى **الجامعة العربية** الآن). وشهد الميدان أعظم مظاهراته في ثورة 1919، كما شهد أيضًا مظاهرة شديدة بعد إلغاء معاهدة 1936، فضلًا عن المظاهرات التي شهدها بسبب إعلان الأحكام العرفية بعد الحرب العالمية الثانية، ومنه انطلقت أول مظاهرة تطالب بسقوط **الملك فاروق** في 12 شباط/ فبراير1946، بعد الحرب العالمية الثانية. ومن الطريف، والغريب، أنه بينما كانت الجماهير تغني للثورة والحرية، شارك **إسماعيل صدقي**، رئيس الوزراء آنذاك، في المظاهرة، وعلى وجهه «ابتسامة ذئب» متظاهرا بتأييد الاحتجاجات، تاركًا للإنجليز مهمة الاستعانة بالمصفحات لتفريق المتظاهرين.

وفي 17 آذار/ مارس 1947، انسحبت القوات البريطانية من **ثكنات قصر النيل**، ورفع **الملك فاروق** العلم المصري عليها، وكانت الثكنات في الأصل مقرا لوحدات من الجيش المصري، لكن عقب هزيمة **أحمد عرابي** وصدور مرسوم **الخديو توفيق** بحل وتسريح الجيش المصري العام 1882، حلت القوات البريطانية مكان القوات المصرية في **ثكنات قصر النيل**.

مرحلة جديدة واسم جديد

شهد الميدان بعد ذلك مظاهر تمرد بقيادة ضباط من الجيش في العام 1952، ما عجل بالإطاحة بالنظام الملكي الحاكم. وفي السنوات الأخيرة من عهد **الملك فاروق**، بدأ إنشاء مجمع التحرير الإداري الذي أصبح يمثل نموذجا للبيروقراطية المصرية. كما أمر **الملك فاروق** بإقامة قاعدة جرانيتية عملاقة وسط الميدان استعداداً لوضع تمثال لجده **الخديو إسماعيل** عليها. ومن المفارقات أن التمثال، المصمم والمصنوع في **إيطاليا**، وصل إلى ميناء الإسكندرية، في ما كان الملك فاروق يبحر مطرودا من البلاد، ليودع التمثال في المخازن.

وبعد ثورة تموز/ يوليو 1952، تغير اسم الميدان إلى ميدان التحرير إشارة إلى لتحرر من حكم أسرة **محمد علي**، والتحرر من الاستعمار البريطاني برحيل الجيش الإنجليزي. وهناك ادعاء من البعض بأن سبب تسمية الميدان باسم **ميدان التحرير** هو أنه شهد بداية حركة تحرر نسائية في مصر خلال ثورة 1919، بمباركة زعيم الأمة **سعد زغلول**. ومن الواضح كذب هذه المقولة لأنه ثبت بالدليل التاريخي أن تسمية الميدان بالتحرير كانت بعد العام 1952.

وبقيت القاعدة الجرانيتية بدون أن يقام عليها تمثال **الخديو**. والطريف أن هذه القاعدة أبت أن يعتليها أي نصب تذكاري بعد ذلك. وجُمعت تبرعات لإقامة تمثال للرئيس **عبد الناصر** عليها بعد وفاته، ولكن السادات وأد هذه الفكرة بعد أن استقر له الحكم. وبعد حرب تشرين الأول/

* كاتب وروائي مصري

REUTERS

أكتوبر1973، أقنع بعض المستشارين **السادات** بإقامة تمثال له عليها، لكنه مات قبل تنفيذها. وكانت هذه القاعدة ملهمة للشاعر الكبير **أمل دنقل** في قصيدته الشهيرة «**الكعكة الحجرية**» التي كتبها عن مظاهرات الطلاب في كانون الثاني/ يناير 1972. وأزيلت هذه القاعدة أثناء عمليات حفر مترو الأنفاق بعد أن نجحت في ألا تمكن أحدا منها. وبذلك اختفى أحد المعالم الرئيسية للميدان.

الكعكة الحجرية

وشهد الميدان أحداثا سياسية كثيرة بعد ثورة تموز/ يوليو 1952 من أهمها أنه كان مكان التجمع الرئيسي للمصريين في تشرين الثاني/ نوفمبر 1956 بعد العدوان الثلاثي على مصر وفتح باب التطوع ضد احتلال مدينة **بورسعيد**. كما شهد في العام 1964 انعقاد أول مؤتمر قمة عربي في مبنى **الجامعة العربية**، وفي أيلول/ سبتمبر 1968 شهد الميدان مظاهرات عارمة من الطلاب والشباب ضد الأحكام المخففة التي صدرت بحق المسؤولين عن هزيمة حزيران/ يونيو 1967، كما طالبوا بالمزيد من الحرية والديمقراطية، ما دعا عبد الناصر إلى إصدار ما سمي **بيان 30 مارس**. وهنا انعقد واحد من أشهر مؤتمرات القمة العربية قبيل وفاة **جمال عبد الناصر** في 28 أيلول/ سبتمبر 1970، وهو المؤتمر الذي خُصص لفض الاشتباك بين **الملك حسين** والمقاومة الفلسطينية.

وفي كانون الثاني/ يناير 1972 شهد الميدان أكبر المظاهرات الطلابية التي اندلعت من جامعة القاهرة ضد **السادات**، الذي كان قد وعد أن يكون العام 1971 هو عام الحسم العسكري مع إسرائيل. والغريب أن الميدان شهد، بعد عامين ونصف، تقريبا، حشدا أكبر لتحية **السادات** أثناء مروره لإلقاء «خطاب النصر» أمام **مجلس الشعب**، بعد حرب 1973، ثم ارتفع العدد ارتفاعًا كبيرًا في الميدان نفسه بمتظاهرين ضد **السادات** أيضًا في كانون الثاني/ يناير 1977، عندما رفع أسعار عدد من السلع الأساسية، وكان الميدان هو الشرارة الأولى لهذه الانتفاضة.

وشهد الميدان أيضًا عدة حوادث منها تفجير مقهى **وادي النيل** في شباط/ فبراير 1992، وأعيد افتتاح المقهى وسط احتفالية كبيرة من الفنانين والمثقفين بعد هذا الحادث بعدة أشهر.

وفي عهد **حسني مبارك**، شهد الميدان مظاهرات عديدة، بدأت بمظاهرات كانون الثاني/ يناير ونيسان/ إبريل 2003، احتجاجا على الحرب ضد العراق، وفي 20 أيلول/ سبتمبر 2003، تظاهر عدة آلاف في الميدان لمساندة الشعب الفلسطيني، والتنديد باحتلال العراق، ورفع المتظاهرون علمي فلسطين والعراق. ثم انفتحت شهية الميدان للمظاهرات التي نظمتها حركات «كفاية» و«6 إبريل» و«كلنا خالد سعيد» إلى أن جاء الحدث الأكبر في 25 كانون الثاني/ يناير 2011.

REUTERS

شوارع وأماكن شهيرة

يضم الميدان العديد من الأماكن الشهيرة مثل: المتحف المصري والجامعة الأميركية بالقاهرة ومجمع التحرير ومقر جامعة الدول العربية والقصر القديم لوزارة الخارجية (سراي الإسماعيلية سابقا)، وفندق النيل هيلتون ومسجد عمر مكرم.

والشوارع الرئيسية التي تتفرع من الميدان هي: شارع **قصر العيني**، شارع **أمريكا اللاتينية**، شارع **الشيخ ريحان**، شارع **التحرير**، شارع **محمد محمود**، شارع **طلعت حرب**، شارع **قصر النيل**، شارع **شامبليون**، شارع **ميريت**، شارع **عبد السلام عارف** (البستان سابقا).

أما الميادين الملحقة بميدان **التحرير** فهي: ميدان **طلعت حرب**، ميدان **الشهيد عبد المنعم رياض**، ميدان **سيمون بوليفار**، ميدان **باب اللوق** ■

ميدان الشهيد عبد المنعم رياض

يُنسب الميدان إلى الفريق **عبد المنعم رياض** الذي ولد في العام 1919، وتخرج في الكلية الحربية في العام 1938. شارك في الحرب العالمية الثانية، ثم سافر في العام 1946 إلى انجلترا، وإلى روسيا العام 1955، وأطلق عليه اسم «**الجنرال الذهبي**». ترقى إلى درجة رئيس هيئة أركان حرب، وفي 30 أيار/ مايو 1967 عُين **رياض** قائدا لمركز القيادة المتقدم في **عمّان**. وحينما اندلعت حرب 1967 عُين قائدًا عاما للجبهة الأردنية، وفي 11 حزيران/ يونيو 1967 عُين رئيسا لأركان الجيش المصري، وتولى مرحلة إعادة بناء القوات المسلحة، وأشرف على وضع خطة تدمير **خط بارليف** وإعاقة إكماله. استشهد على الجبهة في 9 آذار/ مارس 1969، ورثاه الشاعر **نزار قباني** بقصيدة مؤثرة، منها:

«**يا أشرف القتلى.. على أجفاننا أزهرت**
الخطوة الأولى إلى تحريرنا.. أنت بها بدأت..
يا أيها الغارق في دمائه.. جميعهم قد كذبوا.. وأنت قد صدقت
جميعهم قد هزموا.. ووحدك انتصرت».

وفي العام2005 شهد هذا الميدان أيضا انفجار قنبلة قرب المتحف المصري، ما أسفر عن إصابة 7 أشخاص منهم 4 سائحين و 3 مصريين. كما شهد هذا الميدان أحداث الثورة المصرية بالكامل، وجرت من جهته الحادثة الشهيرة بـ«**موقعة الجمال**»، عندما اقتحمه أشخاص يحملون أسلحة بيضاء لإجلائه من المتظاهرين. وعندما تنحى الرئيس السابق **حسني مبارك** صعد بعض الشباب إلى قمة التمثال ووضعوا بين يده الممدودة للأمام العلم المصري احتفالا بالنصر وتقديرًا لهذا الجنرال العظيم الذي مات وسط جنوده وهو يدافع عن الوطن ■

الجامعة الأميركية بالقاهرة

هي جامعة مصرية تأسست في العام 1919 وكان رئيسها الأول هو **تشالز واطسون** الذي ظل رئيسا لها لخمس وعشرين سنة.

مقر الجامعة كان في الأصل قصرا يمتلكه **نستور جناكليس**، به جزء سكنى والجزء الآخر به مصنع «سجائر جناكليس» وكانت سجائر شهيرة جدًا في أول القرن العشرين وتسبق سجائر كوتاريللي التي اشتهرت في ثلاثينيات ذلك القرن. وقد تم تأجيره للجامعة الأهلية في العام 1909 التي افتتحت في الحادي والعشرين من كانون الأول/ديسمبر 1908 في حفل مهيب أقيم بقاعة مجلس شورى القوانين، وحضر الاحتفال **الخديو عباس حلمي الثاني** وبعض رجالات الدولة وأعيانها، وكان أول رئيس للجامعة **أحمد لطفي السيد**. ونتيجة للمصاعب المالية التى تعرضت لها الجامعة خلال الحرب العالمية الأولى انتقل مبناها إلى سراي **محمد صدقي** بميدان الأزهار بشارع **الفلكي**.. ثم أجرت قصر **جناكليس** الجامعة الأميركية في العام 1919 ■

مجمع التحرير

تم بناؤه في العام 1950، ويكاد يكون أكبر مبنى إداري في **إفريقيا** و**الشرق الأوسط**. تكلف إنشاؤه مليوني جنيه مصري، ويتكون من 14 طابقًا ويعمل فيه 15 ألف موظف ويتردد عليه يوميا 50 ألف شخص.

وقصة بنائه تبدأ عندما كلف وزير الأوقاف **عثمان محرم** الدكتور **محمد كمال إسماعيل** بتصميم مجمع إداري، فصممه **إسماعيل** على شكل قوس وجعل له فناء داخليًا كالقصور القديمة، التي تتميز بها العمارة الإسلامية، وكان لتصميم المبنى على شكل قوس دور في تحديد شكل ميدان التحرير.

والدكتور **محمد كمال إسماعيل** وصل، في العام 1948، إلى منصب مدير عام مصلحة المباني الأميرية التي كانت تشرف على بناء وصيانة جميع المباني الحكومية، وأقام عددًا كبيرًا من المباني منها: **دار القضاء العالي**، و**مصلحة التليفونات**، و**مسجد صلاح الدين** في **المنيل**، كما أقام **منطقة الأوقاف** المسماة حاليًا **بالمهندسين** على مساحة 5000 فدان ■

ميدان سيمون بوليفار

يتفرع منه شارع **أمريكا اللاتينية** و**شارع عبد القادر حمزة**، ويتوسط المنطقة التي يقع فيها **جامع عمر مكرم** و**فندق شبرد** و**فندق سميراميس** وسفارتا الولايات المتحدة وبريطانيا. وكان الميدان يسمى قبل ثورة تموز/ يوليو 1952 **ميدان قصر الدوبارة**، لأنه يمثل امتدادًا لشارع **قصر الدوبارة** الذي يقع فيه مقرا السفارتين الأميركية والبريطانية. وفي الستينيات أثناء احتدام المشكلات بين عبد الناصر والإدارة الأميركية، قرر **ناصر** تغيير اسم الشارع إلى **سيمون بوليفار** بطل التحرير الأمريكي الشهير الملقب بـ «El Libertador»، كيدًا في أميركا وبريطانيا، حتى تتلقى سفارتاهما المراسلات باسم الثائر الذي كان مغضوبا عليه من هاتين القوتين.

و**سيمون بوليفار** هو محرر أميركا اللاتينية من الاستعمار الأسباني لعدة دول مثل فنزويلا وكولومبيا والإكوادور وبيرو وبنما. وكان الميدان خاليا من أي نصب تذكاري إلى أن أهدت الحكومة الفنزويلية لمحافظة **القاهرة** تمثالا برونزيا **لسيمون بوليفار**، وزنه 500 كيلو جرام، وارتفاعه 2,3 متر من تصميم النحات الفنزويلي **كارملو تباكو**. أما قاعدة التمثال فهي من صنع الفنان الفنزويلي مانويل **سيليفرا بلانكو**، وجرى تدشين التمثال في 11 شباط/ فبراير 1979 بمناسبة الذكرى المئوية الثانية لاستقلال فنزويلا ■

جامع عمر مكرم

يحمل الجامع اسم الزعيم الشعبي **عمر مكرم بن حسين السيوطي** (1750–1822)، الذي ولد في **أسيوط**– جنوب مصر سنة 1750، وتعلم في **الأزهر الشريف**. ولي **نقابة الأشراف في مصر** سنة 1793، وكان قائدا للمقاومة الشعبية ضد **الحملة الفرنسية**، أثناء ثورة **القاهرة** الثانية سنة 1800. وكان له دور في تولية **محمد علي** شؤون البلاد، بعد أن خلع وكبار رجال الدين المسلمين **خورشيد باشا** في أيار/ مايو1805. وحينما استقرت الأمور **لمحمد علي** خاف من نفوذ رجال الدين، فنفي **عمر مكرم** إلى **دمياط**، على ساحل المتوسط، في 9 آب/ أغسطس 1809، وأقام بها أربعة أعوام، قبل نقله إلى طنطا في دلتا مصر، حيث توفي العام 1822. من المآخذ عليه: أنه "**ربما تخاذل عن تولي حكم مصر، ليكون أول مصري يتولى حكمها منذ أيام الفراعنة، وخذل المصريين جميعا الذين اشتاقوا إلى الحرية، فتعلقت آمالهم به، لكنه تخاذل بسبب عدم ثقته بنفسه، وانتظر أن يرسل له السلطان العثماني «جنديا ألبانيا» ليكون واليا على مصر!**».

ويقع جامع **عمر مكرم** في قلب **ميدان التحرير** بجوار **مجمع التحرير**. وكان في الأصل زاوية صغيرة باسم مقام **سيدي العبيط**. و**سيدي العبيط** هذا كان «بهلولا» هائما على وجهه في بلاد اللّه، وكان الناس يتباركون به ويعتقدون أنه «**فيه حاجة لله**»، وعندما جاء **الخديو إسماعيل** أنشأ **سراي الإسماعيلية** التي حل محلها المبنى القديم لوزارة الخارجية، واقتُطع الجزء الموجود به **ضريح سيدي العبيط**، وبني فوقه **جامع عمر مكرم** في عهد **الملك فاروق**، مع العلم بأن **عمر مكرم** لم يتم دفنه في هذا الجامع بل تم دفنه بمقابر الخفير. وإلى زمن قريب كان الشارع الذي يبدأ من مبنى وزارة الخارجية القديم المطل على **ميدان التحرير**، يسمى **شارع الشيخ العبيط** ■

كوبري قصر النيل

هو أول كوبري (جسر) أنشئ في مصر للعبور على **النيل**. يتميز بتماثيله الأربعة للأسود المصنوعة من البرونز القابعة عند مدخله. بدأ إنشاؤه في عهد **الخديو إسماعيل** في العام 1869. بنته شركة فرنسية، واكتمل في منتصف العام 1871 بطول 406 أمتار وعرض 10,5 متر، منها 2,5 متر للرصيفين الجانبيين وطريق بعرض 8 أمتار. بلغت تكلفة إنشائه 110 آلاف جنيه. وتقرر فرض رسوم عبور حسب نوع المارة بالجسر، فالرجال والنساء ربع قرش، والأطفال والغزلان بلا رسوم، والعربات المليئة بالبضائع قرشان، والفارغة قرش. وفي إحدى اللقطات السينمائية التي صورها مصورو «**ستوديو لوميير**» في مصر أوائل القرن العشرين ظهرت صورة لافتة في مقدمة الكوبري، تقول: «**يفرض رسم مرور وقدره مليمان على البغال والدواب والرجال، ويعفى من هذا الرسم الغزلان والفتيات الحسان**!». ويُنسب اسم الكوبري إلى **قصر النيل** الذي أنشأه **محمد علي** لابنته **زينب**، ولما تولى **سعيد باشا** الحكم هدمه وحوّله إلى ثكنات للجيش المصري، احتلها الإنجليز بعد احتلالهم مصر، وبعد جلائهم تم هدمها وبناء **جامعة الدول العربية** و**فندق هيلتون** مكانها. وبعد 59 سنة من إنشاء الكوبري أنشئ كوبري جديد مكانه يفي بحاجة النقل المتزايدة والحمولات الحديثة، ويتلاءم مع ما وصلت إليه **القاهرة** من عمران في عهد **الملك فؤاد الأول**، الذي وضع حجر أساس الكوبري الجديد في 4 شباط/ فبراير 1932 إحياء لذكرى والده، وأطلق عليه كوبري **الخديو إسماعيل**. يبلغ طوله الحالي 382 مترا، وعرضه 20 مترا، وتكلف حوالي 300 ألف جنيه، وافتتحه **الملك فؤاد** في آذار/ مارس 1933 ■

فاطمة قنديل*

آن الأوان لكي نتبادل الحديث مع العالم

معوقات تواجه إبداع المرأة العربية

يأتي الاحتفال بيوم المرأة العالمي، الموافق في 8 آذار/ مارس، بشكل مختلف، في الكثير من البلدان العربية، هذا العام بعد حراك سياسي عارم، وصل إلى حد الثورة في مصر وتونس، وشاركت فيه النساء بحضور فاعل، وغير خفي. كيف يؤثر ذلك في الإبداع الأدبي للمرأة العربية؟ وما هي المعوقات التي تواجهه؟ وأي مستقبل ينتظر هذا الإبداع في العالم العربي؟

* شاعرة وأكاديمية مصرية

يبدو هذا العنوان باعتباره بحثا عن المعوقات، ومن ثم تحديدها، ومحاولة للقضاء عليها. وهو ينطوي (بصيغته التي تم تداولها كثيرا من قبل) على عدة مشكلات. سأبدأ من نهاية العنوان «المرأة العربية»، وهي عبارة من أكثر العبارات التي نستخدمها زيفا، من وجهة نظري، بل عنصرية أيضا، خاصة إذا اقترنت بـ«الإبداع». إذ عادة ما يتم اختزال التنوع، التنوع السوسيولوجي على مدى أقطار العالم العربي تحت لافتة «ألف لام التعريف» التي تظلل «المرأة العربية»، وهو اختزال يمثل - من وجهة نظري - امتدادا لمنظومة «التجريد» و«الإطلاق» التي تجعل المرأة ذلك الكائن المطلق المجرد الموحي والملهم لكتابات الرجال وإبداعهم على مر قرون من الثقافة العربية وخطابها الذكوري. ولكن المسألة الجغرافية أيضا لا يمكن إغفالها، لأنها -للأسف- ليست مجرد موقع على خريطة العالم، وإنما أنظمة سياسية واجتماعية ودينية...إلخ، ما يجعلنا نقول «العالم العربي» في مواجهة، أو في حوار، وكلاهما صحيح، مع «العالم» بألف لام التعريف، هذه المرة.

هذه المقدمة - المحيرة للبعض ربما- أظنها ضرورية. لأننا لسنا أمام «العالم العربي»، ولسنا أمام «المرأة العربية»، وإنما أمام أطياف لا حصر لها من التنوعات التي تخضع لأسقف مختلفة من الحريات، أو -لأكن أكثر دقة- من «الهامش» المتاح للحرية التي هي «صنو» الإبداع، وهنا لابد من الاعتراف بأن الحرية على مدى العالم العربي كله حرية «مسقوفة»، ومشروطة، ولا يمكنها أن تطير إلا وهي تنفض عن نفسها في كل مرة ما علق بها من أغلال.

وربما أجد نفسي في حاجة لتعريف ما أطلق عليه «السقف»، هنا أيضا، بعيدا عما تداولناه طويلا من أن سقف الحرية هو كسر التابوهات. وأظن أننا استنزفنا الحديث عن مثل هذه التابوهات، واستنزفنا الإبداع أيضا في كونه محض سعي لكسر هذه التابوهات. فما أعنيه بالسقف هنا هو ذلك التوق إلى امتلاك القدرة على التحاور والإضافة والاستفادة والتزاوج بين العالم العربي و«العالم» وبين إبداع المرأة العربية وإبداع المرأة في العالم، وبين إبداع المرأة العربية وإبداع الأقليات في العالم.

ربما يتوقع الكثيرون أنني سأتحدث عن المعوقات التي تلاقيها المرأة المبدعة في العالم العربي، ومن أنظمته، لكنني لا أنوي ذلك في الحقيقة. ربما لو كنت قد كتبت هذا الكلام منذ شهر لاستفضت في الحديث عن الهوامش المتاحة في العالم العربي، وعن ذلك «المسكوت

REUTERS

عنه» الذي تفجره المبدعات العربيات مما تم قهره وتعتيمه، بالرغم من أنه يفتح عوالم لم يعرفها الأدب العربي على مدي تاريخه لأن المرأة العربية المبدعة كانت لقرون تختفي إما وراء خطاب إبداعي ذكوري يؤمن لها الحضور في عالم الأدب، أو وراء حيل استعارية ورمزية - خاصة في الشعر - كاستعارة الطيور التي تقبل الأشجار عوضا عن الجانب الحسي المحظورة كتابته، وربما يكون شعر الشاعرة الكبيرة «نازك الملائكة» خير ما يمثل ذلك: أو في حالة الرواية - التي علا سقف حريتها أكثر من الشعر- بالاختفاء وراء الشخصيات، حيث يؤمن السرد الروائي عدم التطابق بين الكاتبة وما تكتبه أكثر من الشعر.

الحديث عن المعوقات من هذه الزاوية هو نوع من «سكب المداد «- فيما أعتقد - إذ لا شيء من كل هذا بخاف على أحد، وربما أستطيع أن أكتب هذا الآن، والآن فقط، بعد ثورتي تونس ومصر، وبعد أن تعلمنا أن الحديث عن المعوقات مسألة «معوقة» بفتح الواو، و«معوقة» بكسرها. الحديث عن المعوقات أصبح حديثا قديما لأن الحرية لن تتحقق بالحديث عن معوقاتها، وإنما بنيلها. هذا اليقين الذي أكتب به الآن لم أكن أجرؤ على أن أحلم به في يوم من الأيام ولكنه حدث.. ببساطة حدث.

هذا ما يجعلني أتحدث عن المعوقات بشكل جديد، ثمة معوقات يتم تفكيكها الآن من الداخل، ويتم صهر القهر الأنثوي والذكوري، أيضا، في ساحة اسمها «ميدان التحرير»، القهر الذي هو العدو الرئيسي للخيال. «الخيال»، وأحب أن أردد هذه الكلمة الآن، لأنني في شوق حقيقي لأن أكتبها، الخيال الذي كان يطلق طائرة ورقية مصنوعة من علم مصر لتطاول طائرة تحلق فوق الميدان.

ولأننا تعلمنا أن الحرية تأتي من «هنا»، لا من هناك، سأعود للحديث عن السقف. وما أعنيه الآن، و«من هنا»، ليس سقف الحرية التي نصبو إليها في العالم العربي، وإنما آن الأوان لكي نتحدث عن سقف آخر هو سقف التحاور والتعلم والإضافة بين العالم العربي و«العالم» وبين إبداع المرأة العربية وإبداع المرأة في العالم - بصفته مغايرا من حيث التقنيات والشكل الأدبي وما يمكن أن نطلق عليه طابع الكتابة «الأنثوية» -لا النسوية- مما يجعلني أتحدث عن معوقات إبداع المرأة العربية لا من داخل العالم العربي، وإنما من خارجه هذه المرة، وأعني تلك النظرة التي ترى العالم العربي عالما «ثالثا»، وتعتبر إبداع المرأة العربية إبداعا «ثالثا»، إبداعا ينظر له العالم بدافع الفضول -هذا إن نظر إليه أصلا- ويبحث فيه عما يؤكد الصورة التي رسمها لنفسه عن إبداع المرأة العربية، الذي هو امتداد لإبداع شهرزاد -بصورتها النمطية الغربية- و لياليها الألف!

تغيرت المنظومة، وأصبح من الضروري أن يمتد سقف التحاور والمعرفة والاستفادة وتبادل الخبرات على امتداد سقف الانبهار بالثورة المصرية أو التونسية لأن هذه الثورة انطوت على إبداع المرأة العربية أيضا. ولم يكن إبداع المرأة العربية سوى خيط من ذلك النسيج؛ نسيج «دفع الثمن» من الدماء والعذابات، أو من التهميش والسجن والاستبعاد المقترن بالتصدي لكتابات تصبو إلى الحرية. وليست «المرأة العربية»، التي تتعرض الآن للرصاص والقصف وخسارة الأبناء، ويعلو صوتها على امتداد العالم العربي كله بالهتاف بالحرية، إلا طيفا من أطياف الإبداع يجسد نضالا من أجل الحرية التي ناضلت من أجلها الكاتبات العربيات طويلا أيضا.

المرأة العربية المبدعة لم تعان فقط من المعوقات التي تعرضت لها في العالم العربي، وإنما عانت أيضا من النظرة التي كان ينظر بها «العالم» إلى الإبداع العربي، بصفة عامة، من تلك الدونية التي وسمت إحساس الإنسان العربي تجاه العالم، والفوقية التي وسمت نظرة «العالم» للعالم العربي وإبداعه، العالم العربي الذي يعلم العالم الثورات الآن. والتفرقة بين «العالمين» ليست من صنعي على أية حال.

ليس الإبداع نصا شعريا أو روائيا فحسب، وليس فيلما سينمائيا أو عرضا مسرحيا... إلخ. الإبداع ثورة على المألوف، حياة يومية، إطلاق لقدرات الخيال، حوار حقيقي بين ندين، سقف لعالم جديد، لكنه سقف للسكنى والدفء والتعرف والمشاركة.

هذه هي المعوقات التي تعوق إبداع المرأة العربية الآن، لأن إبداع المرأة العربية ليس إبداعا «إقليميا». وفي ظل كل الثورات التكنولوجية، التي نجم عنها ثورات «الفيسبوك»، كانت المرأة العربية المبدعة في حوار حقيقي مع الثقافة العالمية قراءة وبحثا ورؤى تجسدت في نصوص إبداعية تستحق أن تأخذ مكانها على الخريطة الإبداعية للعالم، ولأننا استمعنا طويلا لما يكتبه العالم - بالرغم من كل المعوقات التي كافحناها في الداخل- فإنني أظن أنه قد آن الأوان لكي نتبادل الحديث، ولأن يوضع إبداع المرأة العربية على خريطة الإبداع في العالم بالرغم من «معوقات» اللغة العربية التي نكتب بها، اللغة العربية: العالم ثالثية والمهمشة ■

هل يكون الروبوت أكثر إنسانية من البشر؟

الحرب الروبوتية: المستقبل الآن

أي شكل ستكون عليه الحروب في المستقبل، في ظل تزايد الاعتماد على الروبوتات– بديلا للجنود– في العمليات القتالية؟ هل يخفض استخدام الروبوت المقاتل حجم الخسائر البشرية؟ لكن كيف يمكن للروبوت أن يميز بين المقاتل وغير المقاتل؟ وكيف يمكن له أن يطبق قواعد القانون الدولي الإنساني؟

AFP

«أصغ وافهم. فآلة الإنهاء «Terminator» تقف في الخارج هناك. وهي لا تقبل أية مساومة أو فصال، ولا يمكنك أن تناقش أو تجادل معها. فمشاعر الألم والشفقة والندم أو الخوف لا تعرف طريقها إليها. كما أنها لن تكف عن الحركة أبدًا حتى تقضي عليك».

هذه السطور مأخوذة عن حوار في فيلم «The Terminator» الذي يجسد الخوف من الإنسان الآلي (الروبوت)، المستخدم في المجال العسكري، والانبهار به في الوقت نفسه. فرغم أن الإنسان الآلي، الذي يبدو كأنه لا يقهر، والذي قام بدوره الممثل **أرنولد شوارزينغر** لا يزال من قبيل الخيال العلمي، إلا أن العلم بات على طريق الوصول إليه بخطى سريعة.

والسؤال المطروح الآن هو: إلى أي مدى ينبغي علينا أن نهتم بهذا الأمر ونتأهب له؟ الجواب المختصر، هو: "لا أحد يعرف، لكن هناك عالما رائدا في هذا المجال يشعر بالقلق إزاء هذا الأمر. إنه الخبير الأمريكي البارز، **رونالد آركين** الذي يتمتع بخبرة كبيرة في مجال استخدام الإنسان الآلي في التطبيقات العسكرية. يقول **آركين** أن هناك أكثر من أربعين جيشا في العالم لديها برامج عسكرية روبوتية، ويأمل القائمون على هذه الجيوش في استخدام هذه التكنولوجيا "**ليضاعفوا قوتها، ويحققوا انتشارا واسعا، ويخفضوا عدد الجنود اللازم، ويحدوا –بالتالي– من حجم الإصابات في صفوفهم**".

من التحكم البشري الكامل إلى الأتمتة الكاملة

يقول **أركين**: "**نحن نتجه تدريجيا من تحكم الإنسان الكامل في الإنسان الآلي (الروبوت)، كما هي الحال بالنسبة للطائرة بدون طيار، إلى الأتمتة الكاملة**". ويضيف: "**لم يعد السؤال: "ماذا لو؟"، بل أصبح "متى؟" سيسمح للإنسان الآلي بأن يصبح صاحب القرار في قتل "العدو" من عدمه، ومن الذي يوصف بأنه عدو؟ وهل ينطبق الوصف على المدني أو الشخص العاجز عن القتال؟**".

وثمة احتمال مرعب، كما يُذكّر **أركين**، إذ إن تاريخ سيطرة الإنسان على هذا النوع من القرارات لا يعلو، تماما، فوق مستوى الشبهات. ومن المفارقات أن الطبيعة الإنسانية ذاتها هي التي يمكن أن تجنح إلى اتباع سلوك غير إنساني. فالخسائر الفادحة قد تؤدي إلى السعي وراء الانتقام. علاوة على ذلك، يوجد ميل طبيعي نحو نزع الصفة الإنسانية عن العدو. وفي حروب العصابات، نجد أن الخلط بين المقاتلين وغير المقاتلين يزيد الأمر تعقيدا.

وقد يعني ارتفاع معدل استبدال الوحدات، أيضا، أن كلا من القوات المنتشرة، في الميدان،

سيباستيان براك*

AFP

وضباطها، يفتقرون غالبا إلى الخبرة. فالعديد من صغار الضباط هم من الشباب غير الناضج مما يؤدي إلى مضاعفة الأثر النفسي الذي تخلفه مشاعر الخوف والإحباط لديهم أو مشاعر القوة التي تصاحب حملهم لسلاح في بيئة معادية. ولجميع هذه الأسباب، نستخلص أن الإنسان لا يحترم القانون الدولي الإنساني بالقدر الكافي. وتعلم اللجنة الدولية ذلك تمام العلم، لذلك حللّت أسبابه في كتاب "مصادر السلوك في الحرب".

أكثر إنسانية من البشر؟

بالنسبة للبرامج المعنية باحترام القواعد الأساسية للقانون الدولي الإنساني، يعتقد أركين أن بإمكان الروبوت إثبات أنه أكثر إنسانية من البشر في الأحوال العسكرية. ويظل هذا النقاش قائما في المجتمعين العلمي والقانوني. يقول **أركين**: "**إن الأنظمة الآلية لن تستطيع أن تصطبغ بصبغة أخلاقية تماما في ساحة المعركة، إلا أنني على اقتناع بأنه يمكن تصميمها لتتصرف بطريقة أكثر أخلاقية مما عليه الجنود**". فهذه الأنظمة ليس لديها مشاعر يمكنها أن تشوش على حكمها. كما تستطيع أيضا أن تستوعب معلومات أكثر من عدة مصادر بطريقة أسرع قبل الرد باستخدام القوة القاتلة، هذا إذا ما قارناها بقدرة الإنسان في الوقت الحقيقي. فعند العمل في فريق مكون من جنود من البشر وأنظمة آلية (أو روبوتية)، نجد أن لديها الإمكانيات اللازمة للقيام بطريقة ذاتية وموضوعية برصد سلوك جميع الأطراف على ساحة المعركة والإبلاغ عن أية انتهاكات تجري ملاحظتها.

المعضلات الأخلاقية والقانونية

"**هل من المقبول السماح للآلة بأن تمتلك قرار قتل إنسان من عدمه ؟**" يتساءل **أركين**، "**وماذا لو أخطأت وقتلت مدنيين غير مسلحين على سبيل المثال؟ من الذي سيتحمل المسؤولية؟**". يعترف **أركين** بأنه لا يمتلك إجابة على هذه التساؤلات. ويقترح أن تعمل اللجنة الدولية على إقناع المجتمع الدولي بالنظر في المعضلات القانونية والأخلاقية التي تثيرها الحرب الروبوتية، وأن تقرر إذا ما كانت هناك حاجة إلى إصدار مزيد من الأحكام في إطار القانون الدولي الإنساني. وتستطيع المؤسسة أيضا استقطاب دول لضمان أن تؤخذ في الاعتبار مسألة احترام القانون الدولي الإنساني عند برمجة هذه الروبوتات التي تعمل ذاتيا في المستقبل: "**من شأن اللجنة الدولية أن تكون وسيطا يتسم بالصدق والمثالية. لا أعتقد أننا مضطرون للتخلي عن هذه التكنولوجيا قبل الأوان، لكن يتعين علينا دراسة ما إذا كانت هناك مخاوف مبررة، ثم نحاول معالجتها. علينا العمل على منع تطور هذه التكنولوجيا من تلقاء نفسها، بدافع الضرورة العسكرية فقط، وبدون أن نأخذ البعدين الأخلاقي والقانوني في الاعتبار**"، على حد قول **أركين**.

ليس **أركين** وحده من أطلق هذه الدعوة. ففي تقرير لجنة حقوق الإنسان التابعة للجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في تشرين الأول/ أكتوبر 2010، قال المقرر الخاص **كريستوف هاينز** إن هذه الأنظمة "**أثارت قلقا بالغا لم تتناوله بالدراسة، تقريبا، الأطراف الفاعلة في مجال حقوق الإنسان، أو العاملون في المجال الإنساني. المجتمع الدولي في حاجة ماسة إلى معالجة التبعات القانونية والسياسية والأخلاقية والمعنوية المترتبةعلى تطور التقنيات الروبوتية القاتلة**". ويقول **بيتر هيربي** رئيس وحدة الأسلحة في الإدارة القانونية للجنة الدولية: "**اللجنة الدولية معنية بمسألة إتاحة نظم الأسلحة هذه – سواء سميت تقليدية، أو آلية، أو تعمل ذاتيا – والتعامل معها، وإمكانية استخدامها، مع الامتثال للقانون الدولي الإنساني**".

ويضيف: "**نحن نتابع هذه التطورات عن كثب، لكن النقاش لا يمس القانون الدولي الإنساني كثيرا، بقدر ما يلمس قدرة هذه الأنظمة الفعلية. وكلما ازداد عمل هذه الأنظمة ذاتيا، ازدادت الحاجة إلى الرد على أسئلة بشأن كيفية عملها على أرض الواقع**".

ويجب على اللجنة الدولية أن تقرر الآن ما هو الدور، إن وجد، الذي ترغب في القيام به، في هذا النقاش الناشئ ■

* Sébastien Brack رئيس تحرير الإنترانيت في اللجنة الدولية، جنيف.

ولادة الإنسان «المفبرك» من رحم «مركزية الأنا»

العيش في المدن... من الحلم إلى الكابوس

أدى تمركز غالبية سكان العالم في المدن إلى اختلال على المستوى الكوني بين الإنسان والطبيعة، ما انعكس سلبا على نظم الطبيعة مهددا ديمومة الحياة على وجه الكوكب الأزرق.

يعيش العالم اليوم أزمة حضارية بكل معنى الكلمة ناجمة عن انعدام معنى الأمن الاقتصادي والشخصي والصحي والغذائي والبيئي...إلخ

وبما أنها أزمة حضارية، فهي بالدرجة الأولى أزمة مدن، لأن ما بين 60 في المئة و75 في المئة من سكان العالم اليوم يعيشون في المدن، مع توقع أن ترتفع النسبة إلى 80في المئة في العام 2015. وأزمة المدن تعني أزمة أساليب الحياة فيها: أزمة السكن والعيش، طرق التنقل والتزود بالمياه والطاقة، وتأمين فرص العمل والخدمات الاجتماعية والصحية والعلمية، وتأمين الحد الأدنى من الأمن الإنساني الذي يشمل كل أنواع الأمن المذكورة.

لماذا هذا التمركز العالمي في المدن؟

الكثير من الدراسات في العالم ركزت على الأسباب الاقتصادية والثقافية والتجارية، بمعنى أن طالب العمل يبحث عن الفرص المتمركزة في المدن، وطالب الثقافة التقليدية يتجه نحو المدن: مركز دور النشر والمكتبات والمسارح ودور السينما والمتاحف... وكذلك الأمر بالنسبة لطالب الترفيه أو طالب البضائع والتسوق، حيث المحلات التجارية والأسواق. بالإضافة إلى طالب السياحة، إذ يجد في المدن فنادق ومطاعم ومقاهي وغيرها من وسائل الترفيه، مع كون المدن مراكز التجارة والمكاتب والشركات والمصارف...إلخ

ويبدو أن حكومات العالم قد شجعت أيضا هذا التوجه باعتماد المركزية المفرطة في كل شيء، بدليل أن المراكز الرئيسية الرسمية للدول، كمراكز الحكومات والبرلمانات والوزارات كلها متمركزة أيضا في المدن بشكل عام.

نتيجة لهذا التمركز، حدث اختلال كبير على المستوى الكوني، بين الإنسان والطبيعة، ما انعكس سلبا على نظم الطبيعة وهدد ديمومة الحياة على وجه هذا الكوكب الهش المسمى «الأرض».

ظهرت نتيجة هذا التمركز أولا في الاختلال المعروف بين سكان الريف وسكان المدن. فقد شجع ذلك على الهجرة الداخلية من الريف إلى المدن، كما شجع على ترك الطبيعة والدخول في علاقات مدنية ونظم عيش مركبة ومعقدة مميكنة ومعلّبة وغير طبيعية. ونتجت عن ذلك أيضا حالة من الاغتراب النفسي، والانفصال في الشخصية، وصراع باطني دفين، وربما لاواع بين قيم العلاقات القروية وقيم العلاقات المدنية.

ولعل أبرز مصدر للتمركز المدني، هو ذاك التمركز الفكري، ولاسيما الغربي منه تحديدا.

إنه الفكر المنتج مع فلسفات الحداثة وتأثيراتها العلمية والحضارية. ولاسيما تلك الفلسفات التي ركزت على مركزية الأنا والفرد، وعلى أسبقية الإنسان وفكره على الوجود. إنها فلسفة عبر عنها ديكارت، الذي يصفه الفكر الغربي بأبي الحداثة، أفضل تعبير، عندما أطلق مقولته الشهيرة: «أنا أفكر، إذًا أنا موجود». إنها الفلسفة التي قطعت مع الطبيعة وما وراءها، في الوقت نفسه، وجعلت من الفرد وحريته القيمة المطلقة، ونزعت عن أي كائن قيمته، وحصرت كل القيم في ما ينتجه الإنسان بنفسه، ولنفسه فقط، وركزت على الفرد وأهملت الجماعة. ركزت على الموجود من سلع وأدوات، وأهملت مسألة الوجود، وبحث الكائن الدائم والعميق عن معنى وجوده، حتى أصبح التفرد شرطا من شروط العيش في المدن: العيش في غرفة منفردة، وركوب سيارة منفردا، والعمل بشكل منفرد، والتسمر مساء أمام شاشة التليفزيون أو اللعبة أو الكمبيوتر منفردا من دون الحاجة إلى مجالسة أحد.

نحو علم نفعي لا معرفي

الفكر المتمركز المؤله للفرد، أنتج أيضا علوما متمركزة. فالعلم، مع الفلسفة الغربية المسيطرة، لم يعد محايدا. فكرة العلم من أجل العلم

والمعرفة أصبحت اليوم أسطورة. لم تعد المعرفة قيمة بذاتها، إنما هي قيمة بحسب درجة نفعها. والعلم هو العلم العملي والنفعي، الذي من المفترض ترجمته إلى تقنيات، وترجمة التقنيات إلى أدوات في السوق. إنه العلم الخاضع لمتطلبات السوق، وللقابضين على مقدرات السوق والموارد الطبيعية للكوكب.

الفكر المتمركز حول أسبقية الأنا على الوجود أنتج، إذًا، المعادلة التالية: مركزية الأنا التي جعلت التمركز الفكري في العلم، وتمركز العلم في التكنولوجيا، وتمركز التكنولوجيا في خدمة السوق، وتمركز السوق في خدمة أربابه، أي في خدمة رأس المال الموظف في العلم والإنتاج. ولحماية هذه المعادلة أنتج الفكر المسيطر أيضا أدوات الحرب والسيطرة لحماية الأسواق والحفاظ على ديمومة السيطرة عليها.

ولعل أول نتيجة لهذه المركزيات، هي إنتاج إنسان المدن وحضارة المدن الغالبة: إنسان

حبيب معلوف*

مفبرك، ومبرمج، ومعلب، على نسق البرمجيات والآلات المصنوعة والمفبركة. فعندما يتمركز العلم والمعرفة وكل الإمكانيات في المدن، يغلب الفكر المدني على كل أنواع الفكر الأخرى، ويصبح نمط عيشها حلم الشعوب أينما كان.

ولكن من كان يعتقد أن هذا الحلم سيصبح كابوسا، بعد أن تحولت المدن إلى مراكز شبه مغلقة للبطالة والزحمة والتلوث وانتشار الجريمة والمافيات والمخدرات والآفات والأمراض والأوبئة المعولمة والقلق وانعدام الأمن، بالإضافة إلى المتطلبات المدنية الضاغطة كالمنافسة الدائمة والسرعة والعمل الإضافي والارهاق والشعور بعدم الاكتفاء وعدم الرضا، نظرا لمتطلبات زيادة الاستهلاك التي يتطلبها اقتصاد السوق والإعلانات، بالإضافة إلى تحولها المصدر الأساسي في أكثر من 70 في المئة من الانبعاثات المتسببة في تغير المناخ العالمي؟

مع فكر الحداثة إذًا، أصبح نمط الحياة في المدن معولما، بشكل أو بآخر، ودخل الإنسان في حضارة جديدة يمكن وصفها بحضارة المدن.

يمضي الإنسان المتمركز في المدينة أكثر من 90 في المئة من الوقت داخل الأبنية، في المسكن ومقر العمل والمقهى. ويستهلك المحيط المبني سنويا ما بين 40 و50 في المئة من الموارد الطبيعية المستخرجة، و70 في المئة من الطاقة الكهربائية المنتجة، وهو مسؤول عن ما يقارب 50 في المئة من انبعاثات ثاني أوكسيد الكربون CO_2 التي تبلغ أكثر من 30 مليار طن سنويا.

انقطاع العلاقة بالطبيعة

ومع حضارة المدن ابتعد الإنسان عن الطبيعة بشكل لم يسبق له مثيل. وأصبحت الطبيعة شيئا يمكن الاستغناء عنه، إذ توفر المدن كل شيء تقريبا.

ولكن للأرض والطبيعة قيمة في ذاتيهما، غير تلك الاقتصادية التي تأسست عليها معظم الفلسفات والمذاهب الفكرية والاقتصادية والسياسية، المتمركزة بشريا، والتي اعتبرتها وسيلة لغيرها (للإنسان تحديدا).

ولعل أكثر ما يفسر هذه الطريقة في التقييم، التي تعتبر في أصل مشكلة الأرض والعالم اليوم، هو طريقة عيش الإنسان الاقتصادي الحديث، المفصول عن الأرض في طريقة حياته، ويعيش عن طريق وسطاء وعالم تكنولوجي وأدواتي مصنوع ومصطنع ومعلّب. فمن علبة الباطون (المنزل)، إلى علبة المصعد، إلى علبة الحديد (السيارة)، إلى علبة المكتب، إلى علبة الطعام، إلى علبة الكمبيوتر وعلب التلفاز والألعاب الالكترونية، إلى علبة القبر. هكذا، فقد الإنسان أي علاقة حيوية مع الأرض، فقد إحساسه بكثير من العناصر المشتركة معها.

وباتت الأرض بالنسبة للإنسان الحديث، «شيئا يمكن الاستغناء عنه»، حتى إن إنسان المدينة الحديث، لم يعد يجد مشكلة إذا ما حلت تلك اللوحات الإعلانية البشعة التي تطبق على القلب، محل الأشجار أو الأزهار التي كان يفترض أن تكون مزروعة في المدينة. كما أن الفلاح في الجبال، ما عاد يقترب من أرضه إلا مسلحا بالماكينة، ومدججا بمختلف أنواع الأسلحة الكيميائية للإبادة والتخصيب، كأنه يقارب عدوا شرسا، اسمه الأرض!

وبعد، هل يمكن الخروج من هذه النزعة المدمرة إلى التمدن؟ هل يمكن وقف انبعاثات وفضلات المدن المهددة للوجود الإنساني والاتجاه لتغيير السياسات كافة، و«إعادة تخضير المدينة»، عبر تغيير وتقليل ساعات العمل ليعمل أكبر قدر ممكن من الناس، وزيادة ساعات الفراغ والترفيه، وتغيير سياسات النقل نحو تعزيز ودعم النقل المشترك والتخفيف من استخدام السيارة الخاصة المكلفة والملوثة، وإعادة توزيع المياه بشكل عادل، والاتجاه إلى البناء الموفر للطاقة، واعتماد اللامركزية الإدارية، وزيادة المساحات الخضراء، وإدارة النفايات نحو إعادة فرزها واستخدامها، بما يؤمن فرص عمل جديدة، ويوفر في المواد الأولية والموارد الطبيعية، والتركيز على الصحة الإنجابية، ومحاولة تحديد النسل وتعزيز الطب الوقائي والمحافظة على الأمن الغذائي، بالاضافة إلى الاهتمام بحياة الناس في الريف وتأمين ظروف البقاء والعمل وتأمين الخدمات الأساسية وتعزيز روح الاكتفاء والتعاون؟

ولكن الالتزام بمتطلبات التخفيف من الانبعاثات المسببة لتغير المناخ، يتطلب كثيرا من التضحيات في أساليب العيش والرفاهية، وتغييرا جذريا في تنظيم المدن ووضع السياسات وأساليب العيش.

كما تطرح مسألتا الالتزام والتغيير علاقة الظاهرة بالصراع العالمي للتحكم في الطاقة والاقتصاد العالمي، في ظل تقديرات «الوكالة الدولية للطاقة»، بأن الطلب على الطاقة سيزيد عالميا بنسبة 55 في المئة بحلول العام 2030، وستتطلب البنية الأساسية لإمدادات الطاقة على صعيد العالم استثمارات بقيمة 22 تريليون دولار، يركز غالبها على مصادر الطاقة الأحفورية، المتهمة الرئيسية بالتسبب في ظاهرة تغير المناخ. ولكن ما لا تتطرق إليه المفاوضات الدولية التي تجري كل نهاية عام برعاية الأمم المتحدة، هو كيفية التغيير في النظم الحضارية وفي حياة المدن، المسؤولة الرئيسية عن تغير المناخ ■

* صحافي لبناني متخصص في شؤون البيئة

خضراء*

وقفت المرأة في الحديقة، يطل عليها من الأعالي قمر من حجر أصفر، وكانت قدماها اللتان تطآن التراب عاريتين، وتناهى إلى سمعها غناء خشن ناء، فأحنت رأسها بانكسار. وكان الخوف في تلك اللحظة طيرًا أبيض، مذبوح العنق.

وارتجف جسد المرأة، واغرورقت عيناها بالدموع، وابتدأ لحمها يتصلب شيئًا فشيئًا، ونمت جذور في باطن قدميها، وشقت التراب الجاف، وراحت تتغلغل فيه بينما كانت المرأة لا تزال تبكي منكسة الرأس. وبغتة ندت عن المرأة صرخة ذعر خافتة، ورفعت ذراعيها إلى أعلى محاولة التخلص من التراب غير أن ذراعيها تيبستا وبقيتا مرفوعتين، وتمايل الجسد يُمنة ويسرة، ونضبت دموع العينين رويدًا رويدًا، وتحول اللحم خشبًا اكتسى بقشرة متشققة. وأقبل الشتاء فيما بعد، وغسلت أمطاره المرأة المثبتة في التراب، ثم أتى الربيع، فبدأت تنبت أوراق خضر صغيرة في ذراعي المرأة وشعرها، ثم ما لبث أن انبثق زهر كثير.

وسطعت شمس الصيف على الحديقة، وعندئذ أقبل صاحب الحديقة وكان رجلًا هرمًا، فألفى أشجار التفاح في حديقته مثقلة الأغصان بالثمار عدا شجرة واحدة لم يتحول زهرها تفاحًا، فاستاء منها، وسارع إلى إحضار فأسه، وراح يهوي بها على جذع الشجرة، وتوالت ضرباته حتى سقطت الشجرة على الأرض ميتة.

قصة: زكريا تامر**

رسوم:
شلبية إبراهيم***

* من مجموعة قصصية بعنوان: "إف"- الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة
** كاتب وقاص سوري
*** رسامة مصرية

إميل كامير*

موزع الصحف**

ترجمة
بدر شاكر السيّاب

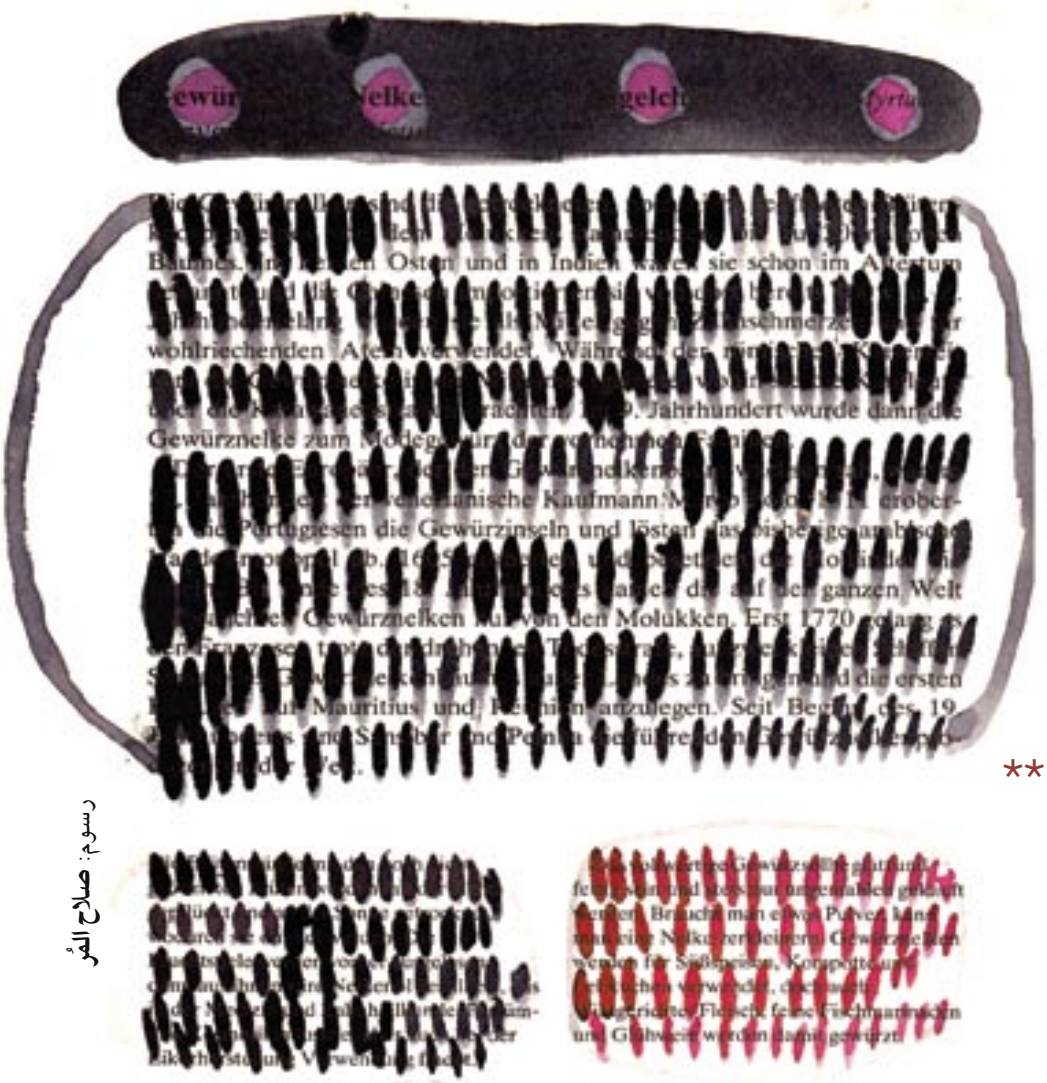

رسوم: صلاح الفرّ

كسرت، على قلبي، قوس السحاب
كمن يكسر، على إحدى ركبتيه،
سيفًا لا نفع فيه.
وبعثرت الغمائم الورد والقرمزيات
وراء أقصى الآفاق.
وأغرقت أحلامي
لكي أشبع الأحلام التي تنام– في انتظاري–
في عروق الرجال الذين يتصببون بالعرق
ويذرفون الدموع ويغتلون من غضب
ليجنوا القهوة التي أشرب:
الحلم الذي ينام في صدور
ينخرهن السل والسعال
"قليلًا من الهواء! قليلاً من شعاع الشمس!"

الحلم الذي يحلم في معد يعصرها الجوع
"كسرة من رغيف! كسرة من خبزة بيضاء!"
حلم الأقدام العارية
"لو قلت الصخور في الطريق، يا ربي،
لو قلت الشظايا من حطيم الزجاج!"
حلم الأيدي التي تصلبت فمات الحس فيها
"الطحلب، وقماش قطن نظيف،
وأشياء ناعمات لينات، تريح"

حلم القلوب المسحوقة
"الحب الحياة الحياة!"

أنا الموزع لصحف
أنا مهيج الناس
وإني لأسير مع موكب النجوم والجائعين
نحو الفجر الكبير.

* Émile Cammaerts شاعر بلجيكي
** من كتاب مختارات من الشعر العالمي الحديث– المجمع الثقافي–أبوظبي

بيروت:

الإسعافات الأولية في النزاعات المسلحة

نظمت **اللجنة الدولية** ورشة عمل بعنوان «**الإسعافات الأوّليّة في النزاعات المسلّحة**»، جمعت للمرّة الأولى ممثّلين عن جميع الجهات الرئيسيّة في لبنان النّاشطة في تقديم الإسعافات الأوّليّة. وكان بين المشاركين ممثّلون عن **الدفاع المدني**، و**الصليب الأحمر اللبناني**، و**الهلال الأحمر الفلسطيني**– فرع **لبنان**، و**وزارة الصحّة**. تميّزت الورشة بعددٍ لافت من الحضور وساهمت في تعزيز الاتصال بين مقدّمي خدمات الطوارئ الطبيّة في لبنان ودعم قدراتهم في هذا المجال، خاصة من ناحية التعامل مع أعداد كبيرة من الجرحى.

وتطرقت الورشة إلى واجبات وحقوق الطواقم الطبيّة أثناء النزاعات المسلّحة وواجب حماية واحترام عمل هذه الطواقم ووسائل نقل الضحايا إلى المراكز الطبية، وذلك تطبيقًا للقانون الدولي الإنساني.

.. ودورة إقليمية في القانون الدولي الإنساني

شهدت العاصمة اللبنانيّة **بيروت**، إقامة الدورة الإقليميّة للقانون الدولي الإنساني التي تنظّمها **اللجنة الدوليّة** و**جامعة الدول العربيّة**. شارك في الدورة أكثر من 54 مشتركا من الأوساط الحكومية وأساتذة الجامعات من مختلف بلدان **الشرق الأوسط** و**شمال إفريقيا** بالإضافة إلى **باكستان** و**إيران**. يذكر أن تنظيم مثل هذه الدورات السنوية بدأ في العام 2004 بناء على قرار من **مجلس الوزراء العرب**.

دمشق:

الماء للسكان الأكثر تضررا في شمال شرق سوريا

بدأت **اللجنة الدولية** و**منظمة الهلال الأحمر العربي السوري** توزيع مياه الشرب النقية مجانًا على العائلات الأكثر ضعفًا في محافظة الحسكة– شمال شرقي سوريا المتضررة من الجفاف وعلى قرى أخرى في محافظتي دير الزور والرقة. فقد أجبر الجفاف الكثير من العائلات في الأعوام السابقة على مغادرة شمال شرق البلاد للاستقرار في مناطق حضرية مثل **دمشق** و**حلب** و**حمص**.

وبحسب رئيس **منظمة الهلال الأحمر العربي السوري** الدكتور **عبد الرحمن العطار** «**يحصل ما يزيد عن 21 ألفا من الأشخاص الأكثر ضعفًا على مياه الشرب شهريا. وستشهد حياتهم تحسنًا نوعيًا ملحوظًا بفضل التعاون المثمر بين اللجنة الدولية ومنظمة الهلال الأحمر العربي السوري والجهات الرسمية**».

وتقول **ماريان غاسر**، رئيسة بعثة **اللجنة الدولية** في **سوريا** أن «**توفير مياه الشرب النقية لسكان المناطق الأشد تضررًا يساعدهم على الحفاظ على أسباب كسب عيشهم والبقاء في أماكنهم. والآن، يحصل الناس في قرية أم مدفع النائية وما حولها على الماء من وحدة معالجة المياه التي أنشأتها اللجنة الدولية والهلال الأحمر العربي السوري. وأنشأت محطتا تنقية أخريان في قريتي مستور وأبو حامضة النائيتين، يتوقع أن تدخلا الخدمة قريبا**».

وتتم معالجة المياه النقية الصالحة للشرب، من آبار مالحة، ويجري توزيعها بالتعاون الوثيق مع **الهيئة العامة لإدارة وتنمية البادية** و**المؤسسة العامة لمياه الشرب والصرف الصحي**. وستتولى الهيئة العامة لإدارة وتنمية البادية مسؤولية تشغيل وصيانة وحدات معالجة المياه. وتوزع **منظمة الهلال الأحمر العربي السوري** المياه الصالحة للشرب من ست محطات لمعالجة المياه أنشأتها **الهيئة العامة لإدارة وتنمية البادية** و**المؤسسة العامة لمياه الشرب والصرف الصحي**، وذلك باستخدام خمسة صهاريج لنقل المياه تبرّعت بها **اللجنة الدولية**. «**الحصول على مياه الشرب النقية يعني الكثير بالنسبة لي ولعائلتي. أصبح أطفالي يشربون مياها نقيةً، وخفّ العبء المادي عني، بعد أن كنت أشتري المياه**» بحسب **أبو حسن**، وهو أحد المستفيدين من البرنامج.

وتتضمن الأنشطة الأخرى، الموجهة نحو ضمان توفير كميات كافية من المياه، تجميع مياه الأمطار عن طريق إنشاء خزانات أرضية وإعادة تأهيل الحفائر المائية التي توفر الماء للمواشي، والآبار، والسدّات المائية المستخدمة في عمليات الري، واستخدام طرق الري الحديثة.

السلوم:

نشاط مكثف لمساعدة العالقين

بدأت اللجنة الدولية للصليب الأحمر عمليات مساعدة الأشخاص العالقين بمعبر **السلوم** على الحدود المصرية الليبية منذ شهر آذار/مارس بعد احتدام العنف في ليبيا ونزوح الآلاف إلى الدول المجاورة طلبا للسلامة. ومنذ ذلك الوقت وحتى نهاية شهر أيار/مايو، وزعت اللجنة الدولية بالتعاون مع الهلال الأحمر المصري ما يزيد على 45 ألف وجبة افطار، وحوالي 38 ألف زجاجة مياه. كما ساعدت اللجنة الدولية هؤلاء اللاجئين على اجراء حوالي 7500 مكالمة هاتفية مع أقاربهم لطمأنتهم على سلامتهم. ويقوم فريق اللجنة الدولية في **السلوم** بالمساعدة على إصدار وثائق السفر لطالبي اللجوء وفي العمل على لم شمل العائلات من خلال برنامج إعادة الروابط العائلية بالتنسيق مع وكالات الأمم المتحدة ومنظمات إنسانية أخرى.

الكويت:

إعادة 32 من رفات جنود عراقيين إلى الوطن

أعيدت إلى الوطن تحت إشراف اللجنة الدولية 32 من رفات جنود عراقيين قتلوا إبان حرب الخليج 1990–1991 وتمت عملية إعادة الرفات عند نقطة العبور الحدودية **العبدلي/صفوان**.

ويقول **جيرار بيترينييه**، رئيس بعثة اللجنة الدولية الإقليمية في الكويت: «**من الضروري أن تطوي العائلات الصفحة في النهاية حتى بعد انتظار دام عشرين عامًا. وأخيرًا سوف يكون بإمكان الأمهات والآباء والزوجات وأفراد العائلات الآخرين الترحم على الأرواح في القبور وتنتهي حالة عدم اليقين الرهيب**».

أخرج الرفات من موقع دفنت فيه على الأراضي الكويتية قرب **العبدلي** تقنيون في الطب الشرعي يقودهم أخصائيون من مصلحة تحقيق الأدلة الجنائية الكويتية. وحضر عملية إخراج الرفات ممثلون رسميون من وزارة حقوق الإنسان العراقية واللجنة الوطنية الكويتية لشؤون المفقودين وأسرى الحرب وسفارتي الولايات المتحدة والمملكة المتحدة في الكويت، فضلًا عن مندوبي اللجنة الدولية.

ويضيف **بيترينييه**: «**تظهر هذه العملية مدى التزام الأطراف المعنية ببذل كل ما في وسعها للكشف عمّا حدث للأشخاص الذين مازالوا في عداد المفقودين وتقاسم المعلومات المجمعة مع العائلات**».

وتعهد أعضاء اللجنة الثلاثية التي شكلت في العام 1991 تحت إشراف اللجنة الدولية للصليب الأحمر والتي تضم ممثلين عن العراق والكويت وتحالف 1990–1991 (الولايات المتحدة والمملكة المتحدة وفرنسا والمملكة العربية السعودية) من أجل تعزيز أنشطة البحث عن أشخاص فقدوا بسبب حرب عام 1990–1991 واسترجاع رفاتهم.

وأبدت السلطات الكويتية والعراقية تعاونًا تامًا في عملية إعادة الرفات إلى الوطن. وأثناء أداء دورها كوسيط محايد، أوفدت اللجنة الدولية مندوبيها إلى كلا طرفي الحدود كي تضمن إجراء عملية تسليم الرفات بشكل سلس.

وينص القانون الدولي الإنساني على حق العائلات في معرفة ما حدث لأقاربها المفقودين. ويتعين على أطراف النزاع البحث عن الأشخاص المفقودين وتقديم معلومات إلى العائلات.

أجدابيا:

تدمير الذخائر غير المنفجرة في أجدابيا

بدأت اللجنة الدولية في حزيران/يونيو في عملية مشتركة مع الفريق الاستشاري المعني بالألغام، تدمير مئات من الأجهزة غير المنفجرة في مدينة **أجدابيا** شرق **ليبيا**.

وكان أخصائيو اللجنة الدولية قد باشروا في أوائل شهر أيار/مايو أنشطة التطهير من المتفجرات في المدينة، فأزالوا الذخائر التي لم تنفجر من البيوت والمدارس وأماكن أخرى سعيًا إلى تأمين المناطق، ووضعوا علامات على الأجسام التي لم يكن من الممكن نقلها.

ويقول السيد «**إيفو بالم**» خبير من اللجنة الدولية في مجال التخلص من المتفجرات يشارك في هذه العملية: «**إنها المرة الأولى التي ندمر فيها مثل هذه الأجهزة في ليبيا، والمرة الأولى في أي مكان آخر التي ننفذ فيها مثل هذه العملية في الوقت الذي تتواصل فيه العمليات العسكرية. لكن الأخطار التي يتعرض لها السكان المدنيون بسبب تلك الأجهزة كبيرة وكان علينا التحرك فورًا، وسوف نستمر في إزالة الذخائر غير المنفجرة من المناطق الأكثر خطورة مثل أجدابيا ومصراتة. وإننا نشعر بسعادة كبيرة لرؤية العائلات تعود آمنة إلى منازلها في أجدابيا بعد أن كانت المدينة قد فرغت تقريبًا من سكانها**».

هذا وإضافة إلى أنشطة التطهير من المتفجرات، تنفذ اللجنة الدولية مع متطوعين من الهلال الأحمر الليبي حملة توعية في صفوف النازحين ، والأطفال بصورة خاصة، من أجل تحذيرهم بما تشكله الذخائر غير المنفجرة من خطر على حياتهم.

وأرسلت اللجنة الدولية طواقم طبية وإمدادات جراحية إلى المدن الليبية التي يعصف بها النزاع في شرق البلاد. وأوفدت في البداية مندوبين إلى **بنغازي** في 26 شباط/فبراير، ولديها الآن مكتب في هذه المدينة يعمل فيه 40 من الموظفين الدوليين والمحليين. وفتحت المنظمة مكتبًا لها في **طرابلس** في منتصف شهر نيسان/أبريل من أجل توسيع نطاق عملياتها في غرب ليبيا.

الدوحة:

دورة تدريبية حول القانون الدولي الإنساني

تطبيقًا لخطة العمل المقدّمة من **اللجنة الدولية**، نظمت **القوات المسلحة القطرية والبعثة الإقليمية للجنة الدولية لدول مجلس التعاون الخليجي** الدورة التدريبية الثانية حول القانون الدولي الإنساني في الدوحة، وشارك في تنظيمها ممثلون عن **الهلال الأحمر القطري**.

افتتح الدورة مدير الإدارة القانونية في **القوات المسلحة القطرية**، العميد **حمد ناصر البدر**، الذي أكّد على التزام القيادة العسكرية بالاتفاقيات الدولية التي صادقت عليها ومن ضمنها اتفاقيات القانون الدولي الإنساني وخاصة اتفاقيات جنيف الأربع وبروتوكوليها الإضافيين.

شارك في الدورة نحو 25 ضابطا من مختلف الرتب يمثلون الوحدات العسكرية الرئيسية إضافة إلى بعض الموظفين المدنيين. وأبدى المشاركون اهتمامًا بالغًا بالمواضيع المطروحة وأجمعوا على أهمية تعزيز نشر قواعد القانون الدولي الإنساني في أوساط القوات المسلحة وضرورة التدريب عليها.

مونتي كارلو:

جائزة اللجنة الدولية للصحافة لبرنامج «Envoyé Spécial»

فاز تقرير إخباري عن الثورة في تونس بعنوان: «Tunisie : la révolution en marche»، أعدّه **جيل جاكييه** وصوّره **كريستوف نيك** بجائزة اللجنة الدولية للصحافة لهذا العام أثناء مهرجان مونتي كارلو التلفزيوني الحادي والخمسين.

ويتناول التقرير، الذي بثته القناة الفرنسية الثانية (France2) في 27 كانون الثاني/يناير 2011 خلال برنامج التقارير التلفزيونية «Envoyé Spécial»، الأيام الأخيرة من حكم نظام **بن علي**، ولا سيّما التأثير الكبير لانتفاضة مدينة **القصرين** على مصير النظام الذي كان يلفظ أنفاسه الأخيرة آنذاك.

وروى **جاكييه ونيك**، الصحفيان الدوليان الوحيدان الموجودان في مدينة **القصرين** وقت الانتفاضة، برباطة جأش ومهنية، أحداثًا عنيفة غيّرت موازين القوى في تلك المدينة. وأوضحا أيضًا كيف أتاح العمل السري لمستخدمي **الإنترنت** التونسيين تنبيه الرأي العام إلى حقيقة ما كان يجري في القصرين.

وقررت هيئة التحكيم التابعة للّجنة الدولية بالإجماع منح الجائزة لصحفيَّي القناة الفرنسية الثانية نظرًا لما اتسم به تقريرهما من إنسانية ورصانة.

وتُمنح جائزة اللجنة الدولية للصحافة، التي استُحدثت في العام 2003، لمكافأة برنامج إخباري من شأنه التعريف بمبادئ القانون الدولي الإنساني عن طريق تناول نزاع مسلح من خلال الاهتمام بالضحايا الذين يشكلون إحدى عواقبه الرئيسية.

بعثات اللجنة الدولية للصليب الأحمر في المنطقة

القاهرة: 33 شارع 106 حدائق المعادي، 11431 القاهرة، ج م ع
هاتف: 25281540/25281541 (202+) فاكس: 25281566 (202+)
البريد الإلكتروني: cai_lecaire@icrc.org

عمّان: دير غبار، حي الديار، شارع يوسف أبو شحوت صندوق بريد 9058 عمان 11191
هاتف: 5921472/4604300 (9626+) فاكس: 5921460 (9626+)
البريد الإلكتروني: amm_amman@icrc.org

بغداد: (بغداد) العلوية: ص.ب 3317
هاتف: 01922464 (79 964+) فاكس: 712266 763 (873+)
(عمّان): غرب أم أذينة، ش البصرة، بالقرب من فندق الفور سيزونز، بناية رقم 5 و 14 ص. ب. 9058 عمّان 11191 الأردن
(عمّان): هاتف: 65523994 (962+) فاكس: 65523954 (962+)
البريد الإلكتروني: iqs_ iraq@icrc.org

دمشق: أبو رمانة، ساحة الروضة، شارع مصر، بناء الجرد، الطابق الثالث صندوق بريد 3579
هاتف: 3310476/3339034 (96311+) فاكس: 3310441 (96311+)
البريد الإلكتروني: dam_damas@icrc.org

الأراضي الفلسطينية المحتلة: شارع النبي شعيب رقم (8) منطقة الشيخ جراح، القدس 91202، صندوق بريد 20253
هاتف: 5917900 (9722+) فاكس: 5917920 (9722+)
البريد الإلكتروني: jer_jerusalem@icrc.org

بيروت: بناية منصور، شارع السادات، الحمرا، صندوق بريد 7188–11
هاتف: 739297/739298/739299(9611+) فاكس: 740087(9611+)
البريد الإلكتروني: bey_beyrouth@icrc.org

الخرطوم: العمارات شارع رقم 33 – منزل رقم 16 – الامتداد الجديد
صندوق بريد 1831 – 11111 الخرطوم
هاتف: 65/476464 (249183) + (خمس خطوط) فاكس: 467709 (249183+)
البريد الإلكتروني: khartoum.kha@icrc.org

تونس: بعثة إقليمية، (تغطي أنشطتها: تونس – المغرب – ليبيا – موريتانيا – الصحراء الغربية) المندوبية الإقليمية بتونس نهج بحيرة كنستنس، رواق البحيرة عمارة أ، ضفاف البحيرة تونس 1053
هاتف: 960179/960154/960196 (21671+) فاكس: 960156 (21671+)
البريد الإلكتروني: tun_tunis@icrc.org

الجزائر: 42 شارع المعز ابن باديس بوارسون سابقًا - الأبيار – الجزائر
صندوق بريد : 16606 الجزائر
هاتف : 03 43 92 21 / 73 40 92 21 (213+) فاكس: 18 43 92 21 (213+)
البريد الإلكتروني: alg_alger@icrc.org

صنعاء: شارع بغداد، رقم 19، منزل رقم 20 صندوق بريد: 2267 صنعاء
هاتف: 4/467873 / 44 38 21 (9671+) فاكس: 75 78 46 (9671+)
البريد الإلكتروني: san_sanaa@icrc.org

الكويت: البعثة الإقليمية لدول مجلس التعاون الخليجي (تغطي أنشطتها: الكويت، السعودية، الإمارات العربية المتحدة، قطر، البحرين، سلطنة عمان) الجابرية، قطعة 5، شارع رقم 3، منزل رقم 32 صندوق بريد: 28078 – الصفاة 13141
هاتف: 53220612 / 53220622 / 53220982 (965+) فاكس: 25324598 (965+)
البريد الإلكتروني: kow_koweitcity@icrc.org

بعثة الصومال: Denis Pritt Road، صندوق بريد: 73226 – 00200 نيروبي، كينيا
هاتف: 301 2719 (25420+) فاكس: 13731 27 (25420+)
البريد الإلكتروني: somalia@icrc.org

طهران: طهران، إلهيه، شارع شهيد شريفي منش، زنقة آذر رقم 4، قرب مستشفى أختر.
الرمز البريدي: 1964715353
هاتف: 4–21 22645821 (98+) فاكس: 21 22600534 (98+)
البريد الإلكتروني: Teh_teheran@icrc.org

موريتانيا: مقاطعة ن الشمال 182 مقسم ب صندوق بريد: 5110 نواكشوط
هاتف: 38 447 52 (222+) فاكس: 97 446 52 (222+)
البريد الإلكتروني: nou_nouakchott@icrc.org

كيف يوفر القانون الحماية في الحرب؟

مجموعة مختارة من كتاب «كيف يوفر القانون الحماية في الحرب؟» الذي ألّفه كل من ماركو ساسولي وأنطوان أ. بوفييه وآن كوانتان. تضم المجموعة 29 دراسة حالة، وتضع بين أيدي أساتذة الجامعات والممارسين والدارسين أحدث مجموعة من الوثائق المتاحة عن القانون الدولي الإنساني.

يوضح مؤلفو الكتاب أن القانون الدولي الإنساني مطبق بالفعل في الممارسات المعاصرة، وأنه يرشد الباحثين عن إجابات للمشكلات القانونية التي تثيرها النزاعات المسلحة. ويأمل المؤلفون في أن يعمل الكتاب على تشجيع تدريس الممارسة العملية للقانون الدولي الإنساني في جامعات العالم، وأن يوفر مرجعا موثوقا به يضم الممارسات المعاصرة، يستفيد منه الخبراء في هذا المجال.

استراتيجية اللجنة الدولية للصليب الأحمر 2011–2014: تحقيق نتائج مميزة لصالح الأشخاص المحتاجين

تحدد الاستراتيجية المؤسسية للجنة الدولية كيفية استجابتها للاحتياجات الإنسانية خلال السنوات الأربع القادمة، وكيفية تعزيز خبراتها، والتنسيق مع الوكالات الإنسانية الأخرى، ودعم الشراكة مع الجمعيات الوطنية.

قاعدة بيانات القانون الدولي الإنساني العرفي

تهدف هذه المطوية إلى التعريف بقاعدة البيانات الجديدة المجانية الخاصة بالقانون الدولي الإنساني العرفي المتاحة إلكترونيا. وتبرز المطوية أهمية القانون الدولي الإنساني في تعزيز الحماية القانونية لضحايا النزاعات المسلحة، كما توضح أهمية قاعدة البيانات كمصدر للمهتمين بتفسيرات القانون الدولي الإنساني وتطبيقاته.

الموت في الحقول (فيلم بالرسوم المتحركة)

سافر رسام الكاريكاتير باتريك شابات إلى لبنان في شباط/ فبراير 2009 بعد مرور سنتين ونصف السنة على الحرب بين إسرائيل وحزب اللّه. ومن خلال فيلم وثائقي بالرسوم المتحركة، يصف شابات كيف يعيش سكان المنطقة المتضررة جنبا إلى جنب مع التهديد الدائم بالموت أو التشويه نتيجة لوجود ذخائر عنقودية غير منفجرة. وتناثرت الملايين من هذه القنابل الصغيرة خلال النزاع، ولم ينفجر العديد منها بعد. وهكذا، يشتعل فتيل حرب عام 2006 من جديد في كل مرة يخطو فيها شخص فوق هذه الذخائر الصغيرة غير المنفجرة. ونُشر هذا الفيلم الوثائقي للمرة الأولى كرسوم كارتونية على صفحات جريدة Le Temps اليومية السويسرية.

التقرير السنوي للجنة الدولية: انعكاسات 2010 – تحديات 2011 (فيديو)

بينما تطلق اللجنة الدولية للصليب الأحمر نداءها للحصول على دعم مالي عاجل، يعود "بيير كراينبول" مدير العمليات باللجنة الدولية، في هذا التقرير المصوّر بذاكرته إلى الوراء مشيرا إلى كيف ساعدت الأنشطة التي تولتها اللجنة الدولية في مجالات المياه والصرف الصحي والبناء 10 ملايين شخص واستفاد ما يقرب من 5 ملايين شخص من المواد الغذائية التي وزعتها. وفي 2011، ومع الأزمات الجديدة في ليبيا وكوت ديفوار بالإضافة إلى النزاعات طويلة الأمد، بلغت الاحتياجات الإنسانية مستويات غير مسبوقة. يمكن تحميل التقرير من على موقع اللجنة الدولية: www.icrc.org/ara

الحاجة إلى المعرفة: إعادة الروابط بين أفراد العائلات المشتتة

توضح هذه المطبوعة كيفية عمل شبكة الروابط العائلية وأهمية الخدمات التي تقدمها، وتعرض الحالات التي تنفصل فيها العائلات، والسبل العديدة التي تتبعها الحركة الدولية للصليب الأحمر والهلال الأحمر لدعم العائلات المشتتة وأسر المفقودين.

In this issue, we present children's testimonies that may be painful, but are also full of the life and the courage these children have, with which they go beyond their distress and the loss of all they cherished; by which they create a new safer life. A life that is filled with an eternal longing for what had been before violence tore them away from their lives and dreams. These children tell their stories from the children's ward at the Merwais hospital in Kandahar, Afghanistan, as well as Baghdad in Iraq, the town of "Obo" in Central Africa, and from Lebanon. Out of the alienation they feel, they tell their stories; so that no other children should be fatherless like them, as Waqqas, who lost his father in an explosion in Baghdad when he was less than five, wishes.

This issue also discusses the challenges facing humanitarian work, and the efforts made to protect civilians. It deals specifically with the lessons learned from the events in Libya and Côte d'Ivoire, based on ICRC field experience in these two contexts. These lessons can form a base to improve humanitarian work in other regions in the world which undergo similar circumstances. In this regard, we should not forget to mention the serious risks encountered by health and medical teams in areas of violence while performing their duty in saving lives. It is crucial that these teams always be respected and supported in performing their job.

This issue of Al-Insani addresses these topics, in addition to presenting various other humanitarian concerns.

"Al-Insani"

AL-INSANI . 51 . Winter 2011
Children of Wars

Contents

• **Tsunamis can be Forecast, but cannot be Prevented** By: **Zeinab Ghosn**
After the shock of the Haiti earthquake, the world woke up to Japan's Tsunami. What can science offer for people's safety?

• **Protection of Civilians: Lessons from Libya and Ivory Coast** By: **Yves Daccord,** ICRC's Director-General, Geneva
With the internal disturbances witnessed by many countries in the region, humanitarian workers face greater challenges. In this article, ICRC's Director-General presents his views on the mechanisms needed to provide greater protection to civilians in such circumstances.

• **Stranded in Salloum** By: **Rasha Mahmoud,** Egyptian journalist
Nahr and Abu-Botrous are among thousands of people who fled the conflict in Libya, and are stranded at the Salloum border crossing. Their stories reveal the full scope of suffering experienced by people who are not parties to any conflict.

• **Coping with Medical Emergencies amidst Civil Disturbances**
As unrest and violence continue to spread across the Middle East and North Africa, ICRC deputy director of operations, Dominik Stillhart, outlines the challenges that local health workers and hospitals are facing in the region, and the support that the ICRC is giving them.

• **The Journey of Haja Na'ema from Loneliness to Family Warmth** By: **Ruba Afani,** Communication officer, ICRC Amman**,** and **Yasser El-Zayat,** Al-Insani editor.
In her eighties, Haja Na'ema is back with her family after a long journey from Amman to Cairo, and finally to Gaza. Her return was made possible thanks to ICRC's Family Links Program.

Dossier: Children of Wars
Wars leave behind devastation that might be repaired in time. However, they leave irremovable imprints on the hearts of children who experience them and are, directly or indirectly, hurt by them. This issue's dossier discusses the effects of war on children.

• **How Can Children Heal from War Traumas?** By: **Samar El Kadi,** Communication officer, ICRC Beirut.
When aircrafts stop shelling, and bombs stop exploding, what psychological support should be given to children to heal war traumas?

• **Horror Bigger than Childhood…Memories Hard to Forget** By: **Layal Horanieh,** Media Relations officer, and **Ferdous Abadi,** communication officer**,** ICRC IQS
Stories told by children, in which death plays the leading role. It took the life of a father, a brother, a mother, or any other relative. These children speak like old people.

• **Veiled Thieves in our Home**
In armed conflicts, one may lose his life, his money, or his future, but the author of this article, an Iraqi blogger who asked to remain anonymous, has lost his memories too.

• **Children under Shelling: Everything I love is gone** By: **Jessy Chahine,** Communication officer, ICRC Beirut.
Iman, Ibrahim, and Mohamed El-Rashid, are three Palestinian siblings who lived in Nahr El-Bared camp, north of Lebanon, but were forced to leave when battles broke out in the camp in 2007. They still have painful memories of this period.

• **Central African Republic: The War on Innocence** By: **Layal Horanieh**
Involuntary child recruitment, rape of girls and torture force children to carry arms and kill. One cannot help but ask: can such a place really exist on earth?

• **War Images and Lessons** By: **Jihad Bazzi,** Lebanese journalist
Of all the effects of the Lebanese civil war, the writer can never forget that bullet passing between his and his father's heads one day.

• **On that I am an Exiled, not a Refugee** By: **Samer Abu-Hawash,** Palestinian poet, journalist and translator.
What would you think if you were born in a land that is not your land? And live in a country that is not your country? How would the image of your own homeland be shaped in your consciousness?

• **The Camera is Watching: Children of War, and War with Children** By: **Yasser Abdel-Aziz,** Egyptian media expert.
Children may, in many cases, become a media subject as victims of wars, or actors in conflicts. However, constrains and professional ethics should govern the media's work when dealing with children in such cases.

• **Sudan: Abducted Daughter Returns Home**
Years after being kidnapped by an armed group on the border between the Democratic Republic of Congo and Southern Sudan, Jacqueline returns to her family with the help of the ICRC.

• **Tunisia, Choucha Camp: a life between arriving and leaving** By: **Soumaya Beltifa**, Communication officer, ICRC Tunis.

Almost 4,000 people who fled the violence in Libya are still living in Choucha transit camp in Tunisia. Despite living in tents under difficult conditions, and despite their uncertain future, these people are trying to live as normal life as possible.

• **Kandahar: A Day in the Life of a Pediatric nurse** By: **Christian Schuh**
The author tells about one day of his life as an ICRC nurse working at the children's ward at Mirwais hospital in Kandahar

• **Tahrir Square: the Solar Disk that Ignited a Revolution** By: **Makkawy Sa'eed,** Egyptian novelist
The world now knows Tahrir Square, which embraced the Egyptian revolution, but many do not know its history. This article provides an overview of the history of the square that witnessed many protests over the past hundred years.

• **It is Time for a Dialogue Exchange with the World** By: **Fatma Kandeel,** Egyptian poet and academic
How does political mobility affect the creation of Arab women's literature? What are the impediments in its way? The author outlines her views on the future awaiting feminist creation in the Arab World.

• **Robotic Warfare: the Future is Now** By: **Sébastien Brack,** Editor-in-chief of the ICRC Intranet, Geneva**.**
Tomorrow's wars will not be like today's. Not the same tools. Not the same victims. With the increase in relying on robots instead of soldiers, there may be a need to redefine legal liabilities during hostilities.

• **Living in Cities: a Dream or a Nightmare** By: **Habib Maalouf,** Lebanese environment journalist
The concentration of the world's population in cities has led to an unbalanced relation between man and nature on the global level. This has negatively affected ecosystems in such a way as to threaten life itself on the blue planet. Man has to face this challenging dilemma on a daily basis.

• **Without Retouches: Khadraa** By: **Zakarya Tamer**, Syrian short story writer.

• **Poetry: Newspapers distributor** By: **Émile Cammaerts**, Belgian poet

• **Around the world**

Editorial

All that violence ....

How does it feel for a child to grow up under acts of violence? A child whose life was turned, at best, into a distant memory before he became an orphan? How does it feel to long for the warmth of your family home, your favourite toys and the beloved hubbub of your street, when you find yourself a resident in one of those tents erected under the open sky; when you lose your name, and become a refugee, a displaced person, or a number on the lists of the dead or disappeared?

This issue of Al-Insani is being released while civil disturbances, conflicts, and violent acts are spreading over the Middle East and North Africa. This violence has resulted in the death of hundreds, and the injury of many more people, in addition to forcing thousands of people to leave their homes and abandon their normal lives in search of safety.

Despite the protection afforded to them by law, thousands of children all over the world are exposed to violence and its devastating consequences on a daily basis. They become helpless eyewitnesses to the atrocities that befall their families and relatives. This violence exposes the children themselves to killing, maiming, imprisonment and separation from their families. Should they themselves survive, they would have no clue as to what future is awaiting them and their beloved ones. They are forced to flee, left to their fate while carrying their deep psychological wounds.

AFP

لا اليد تقوى على المساعدة، ولا الثدي يقوى على الإرضاع. وحدها النظرة الطفولية
تبقى معلقة في سماء الأمل، لعل سحابة خير ممطرة تمر من هنا،
أو لعل معجزة من أي نوع تتجلى بالرحمة.
من بين ملايين البشر يعانون من آثار الجفاف في القرن الإفريقي،
يعتبر الأطفال الفئة الأكثر تضررا، والأكثر احتياجا لمد يد العون. ويتفاقم الوضع
بالنسبة لأطفال الصومال الذين يؤدي الحال المتوتر هناك
إلى تأخر وصول المساعدات إليهم، فتقل فرص نجاتهم من الموت.
تحتاج الإنسانية إلى المزيد من الرحمة لتدرك أن النزاعات تقتل المستقبل،
وأن الطبيعة نفسها قد لا تكون رحيمة بالبشر ما لم يرحم البشر إنسانيتهم.